الشيخ محمد الخضري

إتمام الوفاء

المكتبة الثقافية
بيروت

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله حق حمده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أوضح
. وبلغ الرسالة كما حمل ؛ والرضاء عن أصحابه الكرام البررة الذين
نهجه القويم فدانت لهم الملوك وذلت لهيبتهم الأمم .

أما بعد) فيقول المرحوم محمد الخضرى بن المرحوم الشيخ عفيفى
ى سألتنى وفقنى الله وإياك أن أردف لك كتابى فى سيرة النبى
ه عليه وسلم الذى سميته « نور اليقين » بكتاب فيه تاريخ خلفائه
ين . إذ هم الذين ظهر الدين الإسلامى بأسمى مظاهره فى أيامهم وتجلى
ل حليته بأقوالهم وأفعالهم طالباً منى أن أنهج على سنن الكتاب
فى سهولة التعبير . والاجتهاد فى جمع ما تشتت من تاريخ هؤلاء
فى مطولات الكتب التى يمل القارىء منهـا ذاكراً أن من أعظم
فى الأمة روح النشاط والاجتهاد فى أن تعكف على دراسة تاريخ
حتى تعرف كيف تغلبوا على المصاعب الجمة التى كادت تحول بينهم
انيهم العظيمة وتعرف النتيجة التى تعود من اتباع الدين والسير على
، فعلمت حسن قصدك وصحة إيمانك وغيرتك على أمتك ورأيت أن
ك على مقصدك وأتغلب على المصاعب التى تحول بينى وبين هذا العمل
مستعيناً بالله سبحانه وتعالى وهو نعم العون ، وقد جعلت الكتاب
: (القسم الأول) فى اتحاد الكلمة وفيه الفتوحات الإسلامية
الخليفتين أبى بكر وعمر وزمن غير قليل من زمن عثمان ابن عفان
لله عنهم أجمعين . وأتبعت هـذا القسم بنبذة فى نظامات الأمة
مية إذ ذاك وسير المسلمين مع بعضهم من حسن الإخاء والسعى وراء

تتميم ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعميم الدين الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها . و (القسم الثانى) فى عصر الاختلاف والفتن وهو من أواخر مدة عثمان إلى أن قتل على بن أبى طالب وسلم ابنه الحسن الخلافة إلى معاوية رضى الله عنهم أجمعين وأتبعه بنبذة تظهر للسلمين نتائج الاختلاف والفرقة ليكون الكتاب بعون الله درساً مفيداً لعامة المسلمين (وقدمت) أمام القسمين مقدمة صغيرة فى الخلافة وما يتعلق بها ولعل كتابى هذا يحل عند إخوانى المسلمين محل القبول فيقبلون عليه كما أقبلوا على سابقه وإنى بحمد الله واثق بحسن مسعاى لأنى قصدت به وجه الله سبحانه أسأل به حسن الذخر فى الآخرى وتوفيقاً للمسلمين حتى تقوى شوكتهم وينزل الله النصر عليهم .

وهذه هى الكتب التى استقيت منها فى جمع كتابى هذا (١) صحيح أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى فى كثير من المواضع التى عنى فيها بأخبار الصحابة رضى الله عنهم (٢) صحيح أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى كذلك (٣) تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى إلا ما كان من أمر صفين فإنى لم أعثر على الجزء الذى يحتوى عليها (٤) تاريخ أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزرى (٥) تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المغربى (٦) تاريخ على ابن الحسين المسعودى من ولد عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) إحياء علوم الدين لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى (٨) سراج الملوك لأبى بكر محمد بن محمد الفهرى الطرطوشى : وقد التزمت أن أنص لك على موضع النقل عندما أرى ذلك لازماً لما رأيت من حرصك على ذلك والله الموفق .

المقدمة فى الخلافة

معنى الخلافة

سل الله سبحانه محمـــداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم وصراط
: من اتبعه نجا ، ومن حاد عنه هلك وقد اشتمل هذا الدين على
ها صلاح المجتمع الإنسانى فى الدنيا والأخرى فبلغ عليه الصلاة
الرسالة كما حمل ثم لحق بربه راضياً مرضياً فكان لا د للناس من
فه فى حمل الكافة على اتباع هذا الدين ليقف كل إنسان عند حده
القوى والضعيف والشريف والوضيع أمام الحق فهو خليفة
له صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وجوب إقامة الخليفة

أجمعت الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ب إقامة هذا الخليفة وتابعهم على ذلك من بعدهم من المسلمين ولم
هذا الإجماع أحد ، اللهم إلا بعضاً من الخوارج والأصم من المعتزلة
استغناء عنه إذا صلحت الأمة بأن اتبعت الدين القويم فعملت
والسنة ، والذى حملهم على ذلك إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه
طالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك
لى أهله ومرغبة فى رفضه .

عدم تعدد الإمام

لك أجمع المسلمون على أنه لا يصح أن يكون لهم فى عصر واحد
لما يجره ذلك من التنافس والتباغض اللذين هما سبب الخسران

لو بال وكفى بما حصل للمسلمين منذ تفرقت كلمتهم وتعدد سلطانهم مانعاً
ى ذلك فإن عدوهم تمكن من أن يتصنع لأحدهم ليستعين به على الآخر
كان ملوك الروم يتقربون من ملوك الأندلس ليكونوا لهم ردءاً مانعاً من
عدى العباسيين عليهم وصارت الحال تتقهقر من سيء إلى أسوأ حتى زمننا
ذى نجتهد فيه للتقرب ممن يتمنون لنا الفناء والزوال ولو عرف ملوك
لإسلام مصلحتهم وأزالوا الكبرياء من نفوسهم فتمسكوا بالدين ماوصلوا
لى هذا الدرك الأسفل (إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب) .

صاحب الخلافة

منصب عظيم كمنصب الخلافة لا يستغرب تشعب الأفكار فيه
واختلاف الأمة فى الأحق به فقد مضت القرون والأحقاب وهذه المسألة
شاغلة أفكار العلماء من أكابر المسلمين وأول خلاف ظهر فيها كان عقب
وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الأصحاب كانوا فى ذلك على
ثلاثة مذاهب (قوم) قالوا إنها ترجع لرأى الأمة تختار من تشاء ليكون
إماماً لها متى رأوا فيه القدرة على حراسة الدين وسياسة الدنيا لا فرق فى
ذلك بين القرشى وغيره وكان هذا رأى أغلب الأنصار من سكان المدينة
رضوان الله عليهم ولذلك طلبوها لأنفسهم وأرادوا أن يبايعوا سعد
ابن عبادة سيد الخزرج . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة المعتزلة وأكثر
الخوارج والحجة فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « إسمعوا وأطيعوا وإن
ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة » و (قوم) قالوا هى باختيار الأمة أيضاً
ولكن لاتكون إلا فى قريش وكان هذا رأى أغلب المهاجرين رضوان الله
عليهم . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة أهل السنة ، والحجة فى ذلك ما رواه
أبو بكر رضى الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام « الأئمة من قريش »
و (قوم) رأوا أن الأولى بها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم

م على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته بالإسلام وحسن بلائه فيه
وله عليه السلام له حينما خلفه على أهله فى غزوة تبوك « أما ترضى أن
كون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدى » وكان هذا رأى
لب بنى هاشم ومن شايعهم . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة الشيعة والدليل
ى أن ذلك كان رأياً لعلى قوله لأبى بكر فى حديث مسلم الآتى « وكنا نحن
ى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلم يكن رضى الله
ه يرى لنفسه مرجحا سوى هذه القرابة ولو كان هناك وصاية له أولغيره
ا خفيت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغلب الرأى
وسط على ما سواه عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ظهر
ا الاختلاف فى مستقبل الأمة آثار لاتحمد من الشقاق العظيم والمصائب
ى توالت على الأمة حتى فرقت كلمتها وأضعفت أمرها ولو روعى السر
ى من أجـــله خصصت قريش بالخلافة لما كان هناك خلاف
لا فرقة .

السر فى تخصيص قريش بالخلافة

وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بخلافته اعتباراً
صبية التى تكون بها الحماية ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب
صب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ولاشك أن قريشاً
ن لهم العز والشرف على سائر مضر ، يعترف لهم بذلك سائر العرب .
جعل الأمر فى سواهم لتوقيع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم
ترق الجماعة وتختلف الكلمة وهذا ماحذره الشرع أما إذا جعل فيهم
يحصل شىء من ذلك لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب لما يراد
م فلا يخشى من أحد اختلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ
عها ومنع الناس منها قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه بعد كلام لايخرج

ذكرناه » فاذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان
من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لايخص الأحكام بجيل ولا عصر
أمة علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة
تملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية فاشترطنا فى القائم
ر المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها
رها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولايعلم ذلك
لأقطار والآفاق كما كان فى القرشية إذ الدعوة الإسلامية التى كانت لهم
ت عامة ، وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص
العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة ، وإذا نظرت سر الله
لخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه وتعالى إنما جعل الخليفة نائبا عنه فى القيام
ر عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك
يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه » اهـ .

أقول ولا نعلم الآن عصبية كافية لحماية الأمة أقوى من عصبية القائمين
ر المسلمين الآن وهم بنو عثمان بالقسطنطينية وفقهم الله للعمل بدينه
بم والسير بسيره الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

شروط الخليفة

لابد لمن يتولى هذا المنصب العظيم أن يكون جامعاً لشروط أربعة :

(١) العلم : لأنه منفذ لأحكام الله تعالى ومتى كان جاهلا بها لا يمكنه
ذها .

(٢) العدالة : لأن الإمامة منصب دينى ينظر فى سائر الأحكام التى
ط فيها العدالة فكانت أولى باشتراطها ،

(٣) الكفاية : بأن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب

ا ، كفيلا بحمل الناس عليها عالما بأحوال الدهاء قوياً على معاندة
يصلح له بذلك ماأسند إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة
وتدبير المصالح .

أن يكون سليم الحواس والأعضاء مما يؤثر فقدانه فى الرأى والعمل
ذلك العجز عن التصرف لصغر أو أسر أو غيرهما .

انتخاب الخليفة

الله تعالى فى سورة آل عمران مخاطبا لنبيه الكريم ﴿ وشاورهم
﴾ وهذا خطاب الأمة كلها فكانت الشورى بذلك أساساً الأعمال
لتى يعملها المسلمون وأجلها تنصيب الخليفة فلا تنعقد إلا بشورى
رضاهم والمعتبر فى ذلك أهل الحل والعقد منهم وهم كبار الصحابة
الله عليهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة فاستنارت بصائرهم وعرفوا
الأمة وهذا فى العصر الأول وينزل منزلتهم فيما بعده من العصور
فى الإسلام ولا يلزم إجماع ذوى الحل والعقد على المنتخب بل
غلبية وهى مازاد على نصف المجتمعين والحجة فى ذلك عهد عمر
ضا على واحد بايعوه على السمع والطاعة وعلى العمل بكتاب الله
وله صلى الله عليه وسلم وبهذه البيعة تجب على المسلمين طاعته
امره لاوافق منها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
طاعة الإمام فى حياته فقط بل وبعد وفاته فإذا عهد لاحد من
لخلافة انعقدت له ووجبت مبايعته فصار واجب الطاعة وقد فعل
بكر لعمر رضى الله عنهما فأجازه المسلمون وإذا حصر الشورى
صوص من ذوى الحل والعقد أجيز ذلك وصح انتخابهم كما فعل
ثمان رضى الله عنهما ، وهذه الكيفيات الثلاث فى انتخاب الإمام

وهى انتخابه بالشورى العامة أو الخاصة التى يختارها الإمام السابق أو ولاية العهد هى الكيفيات التى عمل بها فى العصر الأول وبقيت كيفية رابعة أقر العلماء بعد العصر الأول على انعقاد الإمامة بها وهى كيفية التغلب وتكون حينما لايكون للمسلمين إمام واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا واحداً فيجوز لمن يعرف من نفسه القدرة على سياسة الأمة بدرايته وعصبيته أن يطلب هذا الأمر فيدخل الناس فى طاعته إما طوعا وإما كرهاً ومتى هدأت الأحوال وأجيب نداؤه صارت خلافته معمولا بها وصار واجب الطاعة .

طاعة الإمام

قال الله تعالى فى سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة) وقال عليه السلام (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى) وقال عليه السلام لأبى هريرة (عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره عليك) والأثرة هى الاستئثار بالحقوق وقال عليه السلام (لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا له) وقال أبو ذر رضى الله عنه (أوصانى خليلى أن أسمع وأطيع وإن كان عبد مجدع الأطراف) .

وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كان لانخاف فى الله لومة لائم) وفى رواية (بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا

رهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ولا ننازع الأمر أهله إلا إن تروا
راً بواحا) والبواح الظاهر المكشوف الذى لاتأويل فيه .

مخالفة الامام

وهذه الطاعة محدودة بما حده الشرع فإذا أمر بما يطبق على قواعد
ى ولا يخالف صريح القرآن ولا السنة الظاهرة المكشوفة فأمره مطاع
ب التنفيذ وكذلك إذا كان باجتهاد من عنده استند فيه لكتاب أو سنة
ذا أمر بما خالف صريح القرآن أو السنة فلا طاعة له قال رسول الله
الله عليه وسلم (لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق) وقال عليه السلام
ا أمرت بمعصية فلا سمع ولا طاعة) كما إذا أمر بشرب خمر أو ترك
ة مثلا فيجب على المرء المسلم أن لاينفذ أمره بل ينفذ أمر الله ولايخاف
مة لائم

منابذة الامام

أما إذا خرج هو فى أعماله عن حد الشرع بأن ظلم أو استأثر بالحقوق
سق بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فالواجب على المسلمين القيام بأمره
روف ونهيه عن المنكر لاتأخذهم فى ذلك لومة لائم عملا بحديث عبادة
ى أن نقول الحق أينما كان لانخاف فى الله لومة لائم) بشرط ألا يؤثر
فى طاعته شيئاً فلا يجوز الخروج عليه وإشهار السلاح فى وجهه أبداً
استأثر أو فعل إلا إذا ظهر منه كفر صريح لاتأويل فيه ، ففى حديث
(ولا ننازع الأمر أهله إلا أن يروا كفراً بواحاً) وهنا لا إمامة له
لاعة بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزى والنكال وقد
أكثر الصحابة الذين فى عهد يزيد على هذا المبدأ فلما شهر يزيد بما شهر

به لم يجرؤ أحد منهم الخروج عليه إلا الحسين بن على رضى الله عنه فإنه رأى لنفسه ذلك لأهليته التى لا يمارى فيها وشوكته التى لم تكن بالحادة فلم يتمكن مما أراد رحمه الله وقد عذله على خروجه أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فلم يرض لنصحهم لأمر إراده الله . وقد كان فى ذلك العصر كثير من الصحابة بالحجاز والشام والبصرة والكوفة ومصر وكلهم لم يخرج على يزيد لا وحده ولا مع الحسين ولم يقاتلوا مع يزيد أيضاً بل اعتزلوا هذه الفتنة . ولعل الحسين رضى الله عنه تأول قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وساعد على ذلك أن أرسل له سراة أهل العراق يطلبونه لمبايعته فرأى ذلك له مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان ما كان .

جزاء المحاربين

الإمام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن عصاه فقد عصى الرسول ومن عصى الرسول فقد عصى الله ومن حارب الإمام فقد حاربهما وأجدر بمن حارب الله ورسوله أن يبوء بإثم عظيم ، وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء المحاربين فى سورة المائدة قال تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ فجعل المحارب أربعة أنواع محارب قتل فجزاؤه القتل ومحارب قتل وسرق فجزاؤه الصلب ومحارب سرق فجزاؤه القطع ومحارب أخاف السبيل فجزاؤه النفى . والذى حدد هذه الأنواع

المطهرة . وقال بعض الفقهاء إنه لاتوزيع فى هذه العقوبات وللامام
فى الحكم بأى واحدة منها حسبما يراه من المصلحة وإن كانت لهم
جعون إليها كانوا بغاة ولهم أحكام تذكر فى كتب الفقه ، ثم ذكر
ب الفقه ، ثم ذكر سبحانه أن من تاب من قبل القدرة عليه فقد عفا
ه ولذلك يلزم الإمام أن يدعوهم إلى طاعته قبل أن يبدأهم بالقتال ،
ل ذلك على ابن أبى طالب مع من خرج عليه من الحروريين ؛ ورأى
لا ممن خرج على الأئمة فى العصور السابقة لهم مقاصد دينية والغالب
المقاصد الذاتية النفسانية ولذلك قلما رأينا منهم من نجح لأن سنة
ى صلى الله عليه وسلم هى النور الذى يستضىء به كل مسلم وهى قد
الخروج تحريماً شديداً مخافة تفريق المسلمين وتشتيت كلمتهم

واجبات الامام

علمنا أن وظيفة الإمام هى حراسة الدين وكفاية الأمة فالواجب
أ أن يكون الشرع قائده لاينحرف يمنة ولا يسرة عما جاء فى كتاب
لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله صلى الله
لم العادلة الصحيحة وإجماع أئمة المسلمين فى العصر الأول ، فان فعل
متدى بهدى من هو خليفة عنـــه وهدى خلفائه الراشدين كانت
رتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وكان من
لهم الله يوم لاظل إلا ظله وأما إن انحرف وحاد واتبع شهواته
هناك يكون الوعيد الشديد والعقاب الأليم ، قال عليه الصلاة والسلام
مير يلى أمور المسلمين ثم لايجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم
قال عليه السلام (مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه
ر رائحة الجنة) وقال عليه السلام (من ولى من أمر المسلمين شيئاً

ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار) إلى غير ذلك من الأحاديث التى كلها تحذير للأئمة كيلا تهوى بهم أعمالهم فى الدرك الأسفل من النار نعوذ بالله من ذلك . اللهم ألهم ولاة أمورنا الرشد وبين لهم السداد ليقتدوا بسيرة نبيك صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وسيرة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

القسم الأول من الكتاب

خلافة أبى بكر

ـا لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى اجتمع أصحابه
هاجرين وأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لإقامة خليفة له وكان الأنصار
المدينة يريدونها لأنفسهم لما لهم من نصرة رسول الله صلى الله
وسلم وإيوائه بطيبتهم ولا يرون اختصاص قريش بالخلافة ، فلما
م أبو بكر رضى الله عنه بقوله عليه الصلاة والسلام «الأئمة من قريش»
عوا له وتركوا ما ذهبوا إليه من أحقيتهم بالخلافة لأن المخالف ما دام
عن الهوى سهل إرجاعه إلى الحق ، وهؤلاء كانوا أجلة أصحاب
ل الله صلى الله عليه وسلم فلا يهمهم إلا ضم كلمة المسلمين ولم شعثهم
اظرين إلى الدنيا وزخارفها (وكان) بنوهاشم يريدونها لعلى بن أبى طالب
الله عنه لما يرون من أحقيته بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله
سلم ولكن الرأى الغالب كان مع أبى بكر رضوان الله عليه لأن
ى الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى الصلاة وقت مرضه فقال المؤمنون
يه صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ فبويع بها لثلاث
خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة وأول من بايعه عمر
طاب رضى الله عنه ولم يبايع على بن أبى طالب إلا بعد وفاة فاطمة
له عنها ، وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة بنت رسول
ى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله
ه عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك (قرية بخيبر) وما بقى من
خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث
اه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال وإنى والله لا أغير شيئاً

.قة رســـول الله عليه وسلم عن حالها التى كانت فى عهد رسول الله
ه عليه وسلم ولا أعمل فيها إلا بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك
رته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
هر فلما توفيت دفنها زوجها على بن أبى طالب ليلا ولم يؤذن بهـا
وصلى عليها وكانت لعلى من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت
على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك
فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر
طالب فقال عمر لأبى بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر
هم أن يفعلوا بى والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد على ابن
ب ثم قال إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولا ننفس
يرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى
لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى
عينا أبى بكر فلما بكى أبو بكر قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه
حب أن أصل من قرابتى وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال
ل فيها عن الحق ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صنعته فقال لأبى بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر
ظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره
عتذر إليه ثم استغفر وتشهد على بن أبى طالب فعظم شأن أبى بكر
حمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ولا إنكار للذى فضله الله
نا كنا نرى لنا فى الأمر نصيباً فاستبد به فوجدنا فى أنفسنا ، فسر
سلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى على قريبا حين راجع الأمر
ب . ولما قضى الأمر ببيعة أبى بكر صعد المنبر فقال بعد أن حمد الله
يه (أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى

صدقت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى
ى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن
الله لايدع أحد منكم الجهاد فإنه لايدعه قـــوم إلا ضربهم الله بالذل
عونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا
صلاتكم يرحمكم الله) .

ترجمة أبى بكر

هو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد
تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر التيمى القرشى يجتمع مع
صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر
عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ولد رضى الله عنه لسنتين من
لاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الأخلاق الفاضلة والسيرة
كريمة وكان ذا يسار يحمل الكل ويكسب المعدوم وكان مصاحباً لرسول
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فلما شرف الله محمداً برسالته كان أبو بكر
ل رجل أجابه حتى قال عليه السلام « ما دعوت أحداً إلى الإسلام
كانت له كبوة غير أبى بكر » ثم قام بدعوة إخوانه وأصدقائه من قريش
هذا الدين فأجابه جمع منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة
عبيد الله وغيرهم ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان لأبى بكر
الطولى فى شرائهم وعتقهم ابتغاء وجه ربه الأعلى منهم بلال بن رباح
امر بن فهيرة وغيرهما . وقد أراد الهجرة إلى الحبشة مع من هاجر فمنعه
ذلك ابن الدغنة سيد القارة وقال مثل أبى بكر لايخرج وجعله فى حمايته
ام أبو بكر على ذلك زمناً ثم ترك هذه الحماية راضياً بحماية الله سبحانه
عالى إذ لايليق بالمسلم القوى الإيمان أن يرضى بحماية غير الله جل جلاله .

أذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة كان له شرف
ة بنص القرآن الشريف قال تعالى فى سورة التوبة « إذ يقول لصاحبه
ن إن الله معنا » وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته عائشة وسنها
ك سبع سنوات وبنى بها وهو فى المدينة وسنها تسع سنوات . وشهد
كر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها وكان يحمل رايته
ى فى آخر غزواته وهى غزوة تبـــوك وأمره عليه السلام أن يحج
ين فى السنة التاسعة ولما مرض عليه الصلاة والسلام أمره أن يصلى
ى وهذه أعظم إشارة لاستحقاقه بالخلافة من بعده وكان له من الولد
ه الذى جرح بالطائف وتوفى فى أول خلافة أبيه وأسماء زوج الزبير
وام وأم عبد الله بن الزبير وله عبد الرحمن وأم المؤمنين عائشة ومحمد
ولى مصر فى مدة على بن أبى طالب وقتل بها وأم كلثوم التى ولدت بعد
. وكان رضى الله عنه أبيض خفيف العارضين أحنى لايتمسك إزاره
ف الوجه ، قليل لحمه ، نحيفاً أقنى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم
لى الخلافة كان منزله بالسنح (وهو محلة خارج المدينة) فكان يأتيها
م ماشياً وربما ركب فرسه ثم انتقل إلى المدينة بعياله بعد ستة أشهر
لافته وترك تجارته التى كان ينفق منها على عياله وقال ماتصلح الناس
التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر فى شأنهم وأنفق من مال
ن مايصلحه وعياله يوماً بيوم وكان يحج ويعتمر ثم فرضت له الأمة
علوماً يقوم بكفايته وقدره ستة آلاف درهم سنوياً . ومن مآثره
الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه « إن من أمن
على فى صحبته أو ماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت
خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لايبقين فى المسجد باباً إلا سد
ب أبى بكر » وجاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن
إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك — كأنها تقول الموت —

صلى الله عليه وسلم « إن لم تجدينى فائتى أبا بكر » وحدث أبو الدرداء
كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً
ب ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم
غامر (ألقى بنفسه فى الشدة) فسلم وقال يارسول الله إنه كان بينى وبين
خطاب شيء فأسرعت فى الحال إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى
فأقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ثم إن عمر قدم فأتى
ى أبى بكر فسأل أثم أبو بكر ؟ فقالوا لا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر « يتغير غيظاً » حتى
ن أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين
النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال
بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبي ؟ مرتين »
ذى بعدها .

أعماله فى خلافته

أول عمل بدأ به أبو بكر تسيير جيش أسامة بن زيد الذى كان النبي
الله عليه وسلم جهزه إلى أبنى ولم يثنه عن ذلك ما حصل من
ضطرابات فى بلاد العرب عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
ب بعض كبار الأنصار على لسان عمر بن الخطاب من أبى بكر أن يولى
ة الجيش رجلا أسن من أسامة فغضب أبو بكر حتى قام وقعد وقال
استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أعزله ؟ ثم خرج
ى الله عنه وشيع الجيش بنفسه ماشياً وأسامة راكب فقال له أسامة
يفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال والله ما نزلت ولا ركبت وما على أن
قدمى ساعة فى سبيل الله فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة
ب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه ثم وصاه هو

فقال (لاتخونوا ولاتغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ولاتقتلوا طفلا
خاً كبيراً ولاتعزقوا نخلا ولاتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة
وا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل وإذا مررتم بقوم فرغوا
فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وإذا لقيتم قوماً فحصوا
رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا
قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله . يا أسامة اصنع ما أمرك
بلاد قضاعة ثم أنت قافل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله
لم ، ثم ودعه من الجرف ورجع (والجرف موضع قرب المدينة)
سامة من عمر بن الخطاب التخلف عن هـــذا البعث والمقام مع
شفقة من أن يدهمه أمر فأذن أبو بكر لعمر فى ذلك وسار أسامة
ى لما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الجنود إلى بلاد
وكان لبنى قضاعة ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق فى أيلة
لكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب
كان أول الملك فيهم فى تنوخ منهم ثم غلبهم عليه بنو سليح وكانت
فى ضجعم بن معد منهم ثم غلبهم على هذا الملك بنو غسان الذين
ءوهم من اليمن فصار ملك العرب بالشام لبنى جفنة الذين مدحهم
ن ثابت) وأغار أسامة على أبنى فسبى وغنم ورجع إلى المدينة ظافراً
اب عنها بعد أربعين يوماً وكان إنفاذ هذا الجيش من أعظم الأمور
لمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش .
عن كثير مما كانوا عزموا عليه .

أخبار الردة

الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة عظمى لو لم
حكمة أبى بكر رضى الله عنه لضعف الدين وتشتت شمل المسلمين

عرب مالبثت بعد أن علمت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ت ولم يبق أحد متمسكا بدينه منهم إلا قريشاً بمكة وثقيفاً بالطائف
لا من غيرهم وكان الناس فى ذلك على قسمين فمنهم التارك للدين بالمرة
و طيء وأسد ومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد
ى وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود
وكثير غيرهم ومنهم المعطل للزكاة وهم بعض بنى تميم الذين يرأسهم
بن نويرة وبنو هوازن وغيرهم ، وكان من رأى أبى بكر رضى الله عنه
مانعى الزكاة كما يقاتل المرتدون لأن تعطيل الزكاة طعن على الصلاة بل
جميع منازل الدين فقال له عمر بن الخطاب يا أبا بكر كيف تقاتل الناس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى
وا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه
سابه على الله » ، قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
لزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى
عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فو الله ماهو إلا أن رأيت أن قد
الله صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق (رواه البخارى) فشمر
الله عنه عن ساعد الجد غير مبال بهذه الأهوال الجسام مع قلة جيشه
رة عدوه واثقاً بوعده سبحانه وتعالى فى قوله « إن تنصروا الله ينصركم
ت أقدامكم » وها نحن نسوق لك حروب الردة لتعرف كيف ينجح
سان إذا اعتمد على ربه واستسهل المصاعب وليعلم المسلمون كافة فعل
تهم الأول عندما كان المسلمون كالغنم فى الليلة المطرة لقلتهم وكثرة
هم وإظلام الجو بفقد نبيهم .

خبر عبس وذبيان

ام أبو بكر ينتظر جيش أسامة فعاجلته عبس وذبيان ومنازلهم بنجد
وادى القرى وجبل طيء فنزل بعضهم بالأبرق ونزل آخرون بذى

ضمان شمال المدينة الغربى جهة نجد) واجتمع معهم جماعة من
من انتسب إليهم من كنانة وقد بعثوا وفداً لأبى بكر يطلبون
لى الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر وردهم خائبين وخشى على
البيات فحمل على أنقابها علياً وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود
المدينة بلزوم المسجد فلما رجع وفد مانعى الزكاة إلى قومهم
المدينة لقلة من فيها فأغاروا عليها فأرسل من الأنقاب إلى
رج بالمسلمين على النواضح « الابل التى يسقى عليها » فهرب العدو
لمون إلى ذى خشب (وادى بقرب المدينة) فخرج عليهم رده
فقد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها (دحرجوها) على
رت إبل المسلمين ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع أحد منهم
ثم خرج أبو بكر ليلا على بقية وبيت الأعداء فلم يشعروا
ن على رءوسهم ولم تطلع الشمس إلا وقد ولوا الأدبار فاتبعهم
وصل ذا القصة فترك بها النعمان بن مقرن ورجع إلى المدينة
دم أسامة بن زيد من غزوته فاستخلفه أبو بكر على المدينة وترك
يستريحوا وخرج هو قاصدا ذا خشب وذا القصة ثم سار حتى
الربذة فقاتل من هناك من المرتدين وهزمهم ثم غلب على بلاد
لها حمى لدواب المسلمين ثم رجع إلى المدينة حتى إذا استراح
ة وثاب من حوالى المدينة خرج إلى ذى القصة فعسكر بها وعقد
راء لأحد عشر قائداً .

تسيير الجيوش إلى أهل الردة

سيف الله خالد بن الوليد ووجهه إلى طليحة بن خويلد الأسدى
ه فصد مالك بن نويرة بالبطاح (٢) عكرمة بن أبى جهل ووجهه
اليمامة (٣) شرحبيل بن حسنة ووجهه فى أثر عكرمة (٤) المهاجر

أمية ووجهه إلى جنود العنسى ومعاونة الأبناء (قوم من الفرس
اليمن) ثم يمضى إلى كندة (٥) حذيفة بن محصن الغطفانى ووجهه
ل دبا (٦) عرفجة بن هرثمة ووجهه إلى أهل مهرة وأمر هذا ومن
يجتمعا وكل واحد أمير على صاحبه فى عمله (٧) سويد بن مقرن
إلى تهامة اليمن (٨) العـــلاء بن الحضرمى ووجهه إلى البحرين
طريفة ابن حاجز ووجهه إلى بنى سليم ومن معهم من هوازن
عمرو بن العاص ووجهه إلى قضاعة (١١) خالد بن سعيد بن العاص
إلى مشارف الشام .

كتاب أبى بكر للأمراء

كتب للأمراء عهداً هذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله
عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام
اليه أن يتقى الله مااستطاع فى أمره كله سره وجهره وأمره بالجد فى
ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد
إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم
شن غارته عليهم حتى يقرروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم
ـذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال
فمن أجاب إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف
قاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب
لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ومن لم يجب
ية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمة لا يقبل الله من
ئاً مما أعطى إلا الإسلام فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن قاتله

ن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم
ا أفاء الله إلا الخمس فإنه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل
يهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون
ن قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم
لا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين
قول » .

وكتب إلى المرتدين جميعهم كتباً صورتها واحدة وهذا نصها :

كتب أبى بكر إلى المرتدين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى من بلغه كتابى هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام
و رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة
الهوى فانى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله
حده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وأومن
ا جاء به (أما بعد) فان الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق من عنده
لى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً لينذر من كان
حياً ويحق القول على الكافرين يهدى الله للحق من أجاب إليه وضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام
لوعاً أو كرهاً ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله
نصح لأمته وقضى الذى عليه وكان الله قد بين ذلك لأهل الإسلام فقال
إنك ميت وإنهم ميتون) وقال (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن
مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
رسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن

الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) فمن كان يعبد محمداً فان محمداً قد
ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله بالمرصاد حي قيوم
يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه وإنى
صيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وأن
وا بهديه وأن تعتصموا بدين الله عز وجل فان من لم يهده الله ضل
من لم يعرفه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهدياً
أضله كان ضالا (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً
دا) ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل له فى الآخرة
ف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر
لام وعمل به اغتراراً بالله عز وجل وجهالة لأمره وإجابة للشيطان
جل ثناؤه (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان
لجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم
بئس للظالمين بدلا) وقال جل ذكره (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه
إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وإنى قد أنفذت لكم
بن الوليد فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان
ته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب
وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه ومن أبى أن يقاتله على ذلك
ق على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة
النساء والذرارى ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن آمن فهو خير
تركه فان يعجز الله وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع
والداعية الأذان فان أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا
م بما عليهم فان أبوا عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ماينبغى
سير هذه الكتب قبل مسير الأمراء ثم خرجت الأمراء معهم العهود
وجهته والله ناصره .

خبر طليحة

كان طليحة بن خويلد الأسدى رجلا كاهنا ادعى النبوة فى حياة رسول
الله عليه وسلم فتبعه أفاريق من بنى إسرائيل ونزل سميراء من بلاد بنى أسد
رقى نجد مما يلى العراق فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور
لأسدى لمقاتلته فسار إليه ولما هم لمناجزته جاءت الأخبار بوفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن
طيء فرجع ضرار إلى المدينة وحينئذ سير أبو بكر خالد بن الوليد لقتال
طليحة ومن معه وكان فى جيش خالد عدى بن حاتم الطائى فاستأذن خالداً
ى أن يتعجل حتى يدعو قومه بنى طيء إلى الرجوع لدين الله فسار إليهم
دعاهم فأجابوه لذلك وتركوا طليحة وانضموا إلى جيش المسلمين ودعا عدى
يضاً من مع طليحة من بنى جديلة فأجابوه ثم سار خالد حتى التقى بالمرتدين
بزاخة فقاتلهم قتالا شديداً ولما رأى طليحة أن لاقبل له بالحرب هرب هو
زوجته على فرسين كان قد أعدهما لذلك ولحق بالشام فانهزم جيشه . وقد
سلم طليحة بعد ذلك حينما علم بإسلام بنى أسد وغطفان وله ذكر جميل فى
تح العراق ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحوأب
كانت سلمى هذه قد سبيت فى مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقتها
م المؤمنين عائشة وقال لها عليه السلام يوماً وقد دخل عليها وهى فى نسوة
ى بيت عائشة إن إحداكن تستنبح كلاب الحوأب فكان فعلها هذا مصداقا
قوله عليه الصلاة والسلام (عن ابن خلدون) ولما علم بذلك خالد سار
ليها وقاتل جيشها وهى راكبة على جمل فقتل دونه نحو مائة رجل ثم قتلت
ى أيضاً فانهزم جيشها .

أما بنو عامر فانهم لما رأوا ماحل بأسد وغطفان أتوا خالداً وقالوا

يما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله فقبل منهم وبايعهم على أن يقيموا
ويؤتوا الزكاة ويبايعوا على ذلك أبناءهم ونساءهم . ثم طلب من أحدثوا
الإسلام فأتى بهم وجازاهم بمثل مافعلوا . (أما بنو سليم) فقد كان
بن عبديا ليل سار إلى أبى بكر وطلب منه المعونة ليقاتل أهل الردة
أبو بكر وأمره فلما رجع إلى قومه ارتد وأرسل نجبة بن المثنى ليشن
لى المسلمين فسار إليه طريفة بن حاجز أحد أمراء جيوش الردة
تل نجبة وهرب الفجاءة فأدرك وأرسل إلى أبى بكر فقتله ورجعت
للاسلام .

خبرة مالك بن نويرة

رسول صلى الله عليه وسلم قد أمر على بنى تميم ستة أمراء وهم
بن بدر وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو
بن مالك ومالك بن نويرة فلما توفى عليه السلام سير الزكاة إلى أبى
ران بن صفوان والزبرقان بن بدر ومنعها قيس بن عاصم ومالك بن
ام من بقى على إسلامه فى وجه من ارتد ومنع الزكاة وبينما هم على
إذ جاءتهم امرأة اسمها سجاح من أرض الجزيرة ثم من بنى تغلب
صرانية فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة فتبعها
أوباش العرب فقصدت بهم غزو أبى بكر فلما وصلت بلاد تميم
منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة) أرسلت
بن نويرة تطلب موادعته فوادعها وردها عن غزو المدينة
على المسلمين من تميم ففروا أمامها أما هى فسارت تريد المدينة حتى
اج (قرية بالبادية) فاعترضها قوم من تميم فحاربوها وأسروا بعض
تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويطلقوا أسراها وترجع فلا تجتاز
ست بذلك من الذهاب إلى المدينة وانقلبت تريد اليمامة . أما بنو

يم فانهم راجعوا الإسلام وندموا على مافعلوا إلا مالك بن نويرة فانه ظل
متحيراً واجتمع إليه قومه بالبطاح فسار إليه خالد بعد أن انتهى من أمر
طليحة فلما علم مالك بمسيرة أمر قومه فتفرقوا فى المياه فبعث خالد السرايا
فى أثرهم فأتى بكثير منهم أسرى وبينهم مالك بن نويرة فأمر بقتلهم وتزوج
امرأة مالك وقد نقم عليه عمر بن الخطاب قتل مالك وزوج امرأته لأن
جماعة شهدوا عنده أن مالكا كان قد راجع الإسلام فطلب من أبى بكر أن
يقتص منه فقال أبو بكر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنى لا أشيم
سيفاً سله الله على الكافرين .

خبر مسيلمة

كان بنو حنيفة ممن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته
وفيهم مسيلمة بن ثمامة أحد بنى عدى بن حنيفة فلما ورد المدينة جعل يقول
إن جعل لى الأمر من بعده تبعته فأقبل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه
ثابت بن قيس بن شماس وفى يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى
وقف على مسيلمة فى أصحابه وقال لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيته وان أتعدى
أمر الله فيك وإن أبرت ليعقرنك الله وإنى لأراك الذى أريت فيك ما أريت
وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف فسأل ابن عباس أبا هريرة عما رآه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت
فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما
فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى فكان أحدهما العنسى
صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة (رواه مسلم) فلما رجع مسيلمة
ومن معـــه إلى منازلهم (وهى اليمامة بين نجد والبحرين كالحجاز بين نجد
وتهامة) ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع محمد فى الأمر فاتبعه قومه وكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله

عليك فإنى قد أشركت فى الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش
الأرض ولكن قريش قوم لايعدلون . فكتب إليه رسول الله صلى
يه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع
أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »
طبرى وذلك بعد منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة
ع فلما توفى عليه السلام عقد أبو بكر لواء لعكرمة بن أبى جهل وسيره
مسيلمة وسير على أثره شرحبيل بن حسنة مدداً له فلم ينتظر عكرمة
حتى يكون اجتماعهما أشد على عدوهما بل تعجل ليكون له الفضل
فتقدم ولاقى جيش مسيلمة فنكب ولما علم بذلك أبو بكر غضب عليه
عن العودة إلى المدينة وأمره باللحاق إلى اليمن ليكون مع حذيفة
فة على قتال أهل مهرة فإذا انتهوا ساروا إلى المهاجر بن أبى أمية لقتال
الأسود العنسى . وبعث أبو بكر لخالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى
ة وأمده بجيش كثيف من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى شرحبيل
بانتظار خالد حتى يجتمعا على جنود مسيلمة التى تبلغ عدتها أربعين ألفاً
لم مسيلمة وبنو حنيفة بدنو خالد خرجوا فعسكروا فى منتهى ريف
واستنفروا الناس فنفر إليهم عدد كثير فتقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل
ان على ليلة من معسكر بنى حنيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد
م وعامر لإدراك ثار لهم وعليهم مجاعة بن مرارة من سادات بنى حنيفة
يهم خالد فقتلوا إلا مجاعة فانه استبقاه لشرفه ثم سار خالد حتى التقى
المرتدين فتقاتل الفريقان قتالا شديدا ولما حمى القتال انكشف
ون بادىء الأمر حتى وصل المرتدون إلى فسطاط خالد وأرادوا
زوجته فمنعهم من ذلك مجاعة وقال نعم الحرة هى . ثم تداعى
ون وأنزل عليهم سكينته فحمل خالد فى الناس حتى رد المشركين
بعد ما كانوا وتذامر بنو حنيفة وقاتلوا قتالا شديداً فعلم خالد

أن رحى الحرب تدور على مسيلمة فطلبه للبراز فبرز إليه فلما اشتد
عليه الأمر أدبر وزال أصحابه فنادى خالد فى المسلمين فحملوا حتى هزموا
المرتدين شر هزيمة فتحصنوا فى بستان لمسيلمة كان يسمى حديقة الرحمن
فقال البراء بن مالك أحد شجعان الأنصار ألقونى عليهم فى الحديقة فألقوه
عليهم فقاتل عن الباب حتى فتحه فدخله المسلمون وأكثروا القتل فى بنى حنيفة
حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ورجل
من الأنصار فانهزم بنو حنيفة وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقال
مجاعة لخالد والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهيرهم لفى الحصون
فهلم أصالحك على قومى وقد كان خالد التقط من دون الحصون من نساء
وصبيان ومال فقال مجاعة أصالحك على ما دون النفوس وانطلق كأنه
يشاورهم فافرغ السلاح على النساء ووقفهن بالأسوار ثم رجع إليه وقال
أبوا أن يجيزوا ذلك فنظر خالد إلى الحصون فوجدها ممتلئة بالجيوش
والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقتل من الأنصار ماينيف على ثلاثمائة وستين
من المهاجرين ومثلهم ومن التابعين لهم مثلهم أو يزيدون وقــد فتشت
الجراحات فيمن بقى فجنح للسلم فصالحه عل الصفراء والبيضاء ونصف السبى
والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه
وفتحت الحصون فلم يجد بها خالد إلا النساء والمستضعفين فقال لمجاعة
خدعتنى فقال قومى ولم أستطع إلا ما صنعت وبعد هذا الصلح جاءه كتاب
من أبى بكر يأمره فيه بقتل كل محتلم فوفى لهم بصلحه ولم يغدر ثم أرسل
وفدا منهم لأبى بكر باسلامهم فلقيهم وسألهم عن أسجاع مسيلمة فقصوها
عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم
عن أحلامكم وردهم إلى قومهم .

خبر البحرين

كانت أرض البحرين مقراً لكثير من قبائل ربيعة منهم عبد القيس
عصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ومنهم بنو بكر بن وائل
ط بن هنب بن أفصى وكان أهل البحرين قد وفدوا على رسول الله
له عليه وسلم فى حياته وأسلموا فأمر عليهم المنذر بن ساوى فلما توفى
سلام توفى عقبه المنذر بن ساوى فارتد أهل البحرين فأما بكر فتمت
تها وأما عبد القيس فراجعت الإسلام بهمة الجارود بن المعلى العبدى
عهم حينما قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فقال لهم أتعلمون أنه كان لله
ما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فإن محمداً قد مات كما
أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فاسلموا وثبتوا على
هم فاجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وخرج
بن ضبيعة من بكر بن وائل فاجتمع إليه كثير من المشركين والمرتدين
ل القطيف وهجر وحصرا أصحاب الجارود فأرسل أبو بكر العلاء
ضرم لأهل البحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفى
ة بنى حنيفة وقيس بن عاصم المنقرى فى قومه وأتاه كثير من أهل
لك بهم الدهناء حتى إذا كانوا فى بحبوحتها « وسطها » نزل وأمرهم
فنفرت إبلهم بأصحابها فغموا لذلك غماً شديداً فقال لهم العلاء ماذا
فقالوا كيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمى الشمس حتى نهلك فقال
وا أنتم المسلمون وفى سبيل الله وأنصار الله فابشروا فوالله لن تخذلوا
ا الصبح دعا العلاء ودعوا فلمع الماء فمشوا إليه فشربوا واغتسلوا
النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخوها وسقوها ثم
علاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بالحطم مما يليه وسار وهو فيمن معه
عليه مما يلى هجر فاجتمع المشركون إلى الحطم واجتمع المسلمون

إلى العلاء وخندق كل على نفسه وكانوا يتراوحون القتال فإذا أمسوا رجع كل إلى خندقه حتى إذا كانت ليلة سمع المسلمون فيها ضوضاء فى عسكر المشركين فأرسل العلاء من يستعلم الخبر فجاء بأنهم سكارى فبيتهم المسلمون شر بيات حتى هربوا فمن بين مقتول ومأسور وقتل الحطم ثم قصد فلهم دارين « جزيرة فى الخليج الفارسى قريبة من سواحل البحرين » فعبر خلفهم المسلمون خوضا وقاتلوهم هناك فظفروا بهم وأكثروا فيهم القتل ثم أرسل العلاء إلى أبى بكر بهذا الفتح المبين .

خبر عمان

لما أسلم أهل عمان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليهم الأخوين جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وكان يسامى الجلندى فى الجاهلية : ذو التاج لقيط ابن مالك الأزدى من رؤساء عمان فلما توفى رسول الله صلى عليه وسلم ادعى لقيط النبوة فتبعه كثير من أهل عمان فخافه ابنا الجلندى فالتجآ إلى الجبال وكاتب جيفر أبا بكر فبعث إليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة الأول إلى عمان والثانى إلى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه فى عمله فإذا قاربا عمان كاتبا جيفرا وأرسل فى أثرهما عكرمة بن أبى جهل بعد هزيمته فى اليمامة فلحقهما قبل أن يصلا عمان فلما قاربوها كاتبوا جيفراً فأتاهم وعسكروا بصحار (عاصمة عمان) أما لقيط فإنه جمع جموعه وعسكر بدبا فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا شديداً كاد المسلمون ينهزمون فيه لولا أن من الله عليهم بمدد عظيم من بنى ناجية فاستظهروا بهم وهزموا المشركين بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم سبوا الذرية وقسموا الغنيمة وبعثوا إلى أبى بكر بالخمس مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس أما عكرمة فسار ومعه جمع من بنى ناجية إلى مهرة ولما وصلها وجد أهلها قسمين مختلفين كل قسم رئيس فكاتب

أحد القسمين فأجابه وراجع الإسلام ولم يجب الآخر فقاتله حتى

أخبار الأسود

ا فتحت اليمن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليها بازان
ى الذى كان عاملا للأكاسرة على اليمن ثم دان بالإسلام وكان مركزه
فلما مات قسم عليه السلام عمله فولى على صنعاء ابنه شهر بن باذان
ارب أبا موسى الأشعرى . وعلى همدان — وكانوا يقيمون شرقى
— عامر بن شهر الهمدانى وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبى هالة
عك كانوا يقيمون بين زبيد ورمع ، وعك هو ابن عـــدنان
عريون كانوا يقيمون شمالى زبيه وينسبون إلى أشعر بن أدد بن زيد
جب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وعلى ما بين نجران ورمع وزبيد
ن سعيد بن العاص وعلى نجران عمرو بن حزم وعلى حضرموت زياد
د البياضى وعلى السكاسك والسكون وهما قبيلتان من كندة كانا شمالى
وت ، عكاشة بن ثور وعلى بنى معاوية من كندة المهاجر بن أبى أمية
المؤمنين أم سلمة ولم يذهب إلى عمله حتى توفى رسول الله صلى الله
سلم لمرض كان به وكان زياد بن لبيد يقوم بعمله وعلى الجند يعلى ابن
كان معاذ بن جبل معلما ينتقل فى كل بلد فقبل وفاة رسول الله صلى الله
سلم ثار باليمن رجل من عنس اسمه عبهله ولقبه ذو الخمار وشهرته
د فادعى للنبوة فأجابته مذحج ووثبوا على نجران فأخرجوا منها عاملها
بن حزم وأخرجوا عمرو بن سعيد بن العاص فلحقا بالمدينة ثم توجه
د فى سبعمائة من قومه إلى صنعاء فقتل شهر بن باذان واستولى على
وتزوج إمرأة شهر ثم استولى على ما بين صنعاء وحضرموت من
ب إلى أعمال الطائف من الشمال إلى البحرين من الشرق واستفحل

مره فخرج معاذ بن جبل هارباً ومر بأبي موسى وهو بمأرب فخرج معه ولحقا
بحضرموت فنزل معاذ فى قبيلة السكاسك ونزل أبو موسى فى قبيلة السكون
وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك فلما بلغ خبر ذلك إلى رســـول الله
صلى الله عليه وسلم أرسل إلى من باليمن من الانبياء وأبي موسى ومعاذ والطاهر
أن يقوموا بقتال الأسود وقتله إما غيلة أو مصادمة فقام بذلك من الأبناء
فيروز وداذويه واهتموا بقتله وساعدتهم زوجه التى كانت تحت شهر ابن
باذان فقتلوه ليلا ، قتله فيروز فلما أصبح الصبح نادوا بشعائر المسلمين وهو
الأذان فماج الناس بعضهم فى بعض واختطف بعض أصحاب الأسود صبياناً
من أبناء المسلمين وخرجوا من المدينة تاركين فيها كثيراً من صبيانهم ثم
تراسل الفريقان فى أن يرد كل ما بيده وأقام أصحاب الأسود يترددون بين
صنعاء وعدن لا يأوون إلى حد وتراجع عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أعمالهم واتفقوا على أن يصلى معاذ بالناس فى صنعاء لقتل عاملها شهر
حتى يأتيهم أمر رسول الله صلى عليه وسلم وبعثوا إلى المدينة بالخبر فوصل
البريد وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه أول بشارة أتت
أبا بكر فلما شاع خبر الوفاة ارتد قيس بن عبد يغوث وكاتب المنهزمين من
جنود الأسود فاجتمعوا إليه وأراد أن يتحيل فى قتـــل كبار الأبناء وهم
فيروز وداذويه وخشنش فهيأ لهم طعاماً وجمعهم ليغدر بهم فظفر بداذويه
ونجا الآخران فخرج فى أثرهما فامتنعا بقبيلة خولان فرجع قيس إلى صنعاء
فاستأثر بها وعمد إلى عيالات الأبناء فغربهم وأخرجهم من اليمن فى البر
والبحر وعرضهم للنهب فلما علم بذلك فيروز هم بحربه واستعد بنى عقيل ابن
ربيعة وعك فساروا إليه واستخلصوا عيالات الأبناء التى سيرها قيس
وقتلوا من معها من الرجال ثم توجهوا إلى فيروز فقاتل بهم قيسا ورجاله
حتى هزموهم وحينذاك أتاهم المهاجر بن أبي أمية الذى عقد له أبو بكر لواء
وسيره لقتال جنود الأسود ومعاوية الأبناء وجاء على أثره عكرمة بن أبي جهل

ن انتهى من عمان ومهرة فساعدا الأبناء على قتال جنود قيس بن عبد
ث حتى انهزموا وأسروا قيساً وعمرو بن معد يكرب الزبيدى الذى كان
وتبع الأسود فسيراهما إلى أبى بكر فقال أبو بكر ياقيس قتلت عباد الله
ت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فأنكر قيس أن يكون قارف من
ا ذويه شيئاً ولم يكن هناك دليل ظاهر على قتله لأن القتل كان خلسة
ى عن دمه وقال لعمرو بن معديكرب أما تستحى أنك كل مهـــزوم
سور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله فقال لاجرم لأقبلن ولا أعود
ما إلى عشائرهما مؤمنين ثم تتبع المهاجر بن أبى أمية بقية جنود الأسود
مكان وقتلهم بكل سبيل حتى لم تعد لهم قائمة وكانت مدة الأسود إلى أن
قريباً من أربعة أشهر .

أخبار كندة

كانت كندة قد ارتدت فى عهد الأسود بسبب ما وقع بينهم وبين زياد
ى فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بنى عمرو بن معاوية من
بعد أن وقع عليهم ميسم الصدقة غلطاً فقاتلهم زياد وهزمهم فاتفق
عاوية من كندة على منع الصدقة إلا شرحبيل بن السمط وابنه فإنهما
لبنى معاوية إنه لقبيح بالأحرار التنقل إن الكرام ليلزمون الشبهة
رمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الأمر
ى الجميل والحق إلى الباطل القبيح اللهم إنا لانمالىء قومنا على ذلك
لا ونزلا مع زياد وقالا له بيت القوم فإن لم تفعل خشينا أن يتفرق
عنا فطرقهم فى محاجرهم فأصاب ملوكهم فقتلهم وهرب من قومهم من
الحرب وعاد المسلمون بالغنائم والسبي فمروا على بنى الحارث بن معاوية
جرهم وفيهم الأشعث بن قيس فنزل واستخلص السبي منهم فكتب
إن المهاجر يستحثه فاستخلف على جنده عكرمة وتعجل هو فى سرعان

الناس وقدم على زياد فالتقوا بالأعداء فانهزم بنو الحارث وتحصنوا بالنجير
، وهو حصن لهم ، فحصرهم المسلمون ولما اشتد عليهم الحصار خرجوا فقاتلوا
قتالا لم يغنهم شيئاً فعادوا إلى الحصن ثم أرسل الأشعث فى طلب الصلح على
تسليم الحصن بمن فيه مشترطاً الأمان لتسعة نفر من الرؤساء وكتب بذلك
كتاباً ولكنه نسى نفسه فدخل المسلمون الحصن وقتلوا المقاتلة وسبوا
وغنموا ثم عرضوا من أمنوا فإذا الأشعث ليس فيهم فأراد المهاجر قتله
ولكن أشار عليه أصحابه أن يرسله إلى أبى بكر ليرى فيه رأيه فأرسله إليه
فعفا عنه أبو بكر رضى الله عنه وهو ممن أبلى بلاء حسناً فى فتح العراق .

وإلى هنا انتهت أخبار أهل الردة ومنها يفهم المسلمون الذين يريدون
الاقتداء بسلفهم الصالح أن المؤمن لاينبغى أن يهن مهما كثرت أعداؤه لأن
المسلمين لايغلبون من قلة ولايخذلون إلا من اتباعهم الهوى وحيادهم عن
الصراط السوى . هذا أبو بكر أول خليفة للمسلمين كان العرب كلهم أعداءه
وصار هو ومن معه كالشعرة البيضاء فى الثور الأدهم فلم يعقه ذلك عن إعزاز
دين الله وقتاله من كفر بالله بمن معه من المسلمين بل وثق بوعد الله حيث
قال ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ فجازاه الله على ذلك
بالنصر العظيم والفتح المبين ودانت له أمم العرب ، فهكذا يكون الإسلام
والإيمان .

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

أمر العراق

لما انتهى أبو بكر رضى الله عنه من حروب أهل الردة جمع العرب
كلها للإسلام وألف الله الكلمة وجه همته لتعميم عدل الإسلام ومساواته
بين الأمم الأخرى التى كان ملوكها يعتقدون فى أنفسهم أنهم أرقى درجة

رعيتهم فتصوروهم عبيداً لهم ليس لهم فى نفسهم شىء فيسومونهم الخسف
املونهم بالجور والظلم وكانت الممالك العظمى المجاورة الإسلام إذ ذاك
ك الفرس فى الشرق ومملكة الروم فى الشمال فابتدأ بأمر الفرس وأول
صل بين المسلمين وبين هذه الدولة العظمى كتاب رسول الله صلى الله
وسلم إلى كسرى ابرويز يدعوه فيه إلى الإسلام فمزقه كسرى استكباراً
ا يدلك على مقدار الجبروت والكبرياء الذين كانا شعاراً للملوك إذ ذاك
ء الدين الحنيفى يهدمها وبلغ من استعظام أبرويز لهذا الكتاب أن أرسل
له باذان على اليمن أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين
ين يأتيان به فتوجها كما أمر فلما وصل الرجلان إلى المدينة كلمهما رسول
صلى الله عليه وسلم وقال لهما فى هذا اليوم قتل أبرويز قتله إبنه وكان
ر كما أخبر عليه السلام فإن ابنه شيرويه ثار به بمساعدة كبار الفرس
ه واستولى على ملك فارس فلما علم الرجلان صدق رسول الله صلى الله
وسلم أسلما وبعث شيرويه إلى باذان أن لا يتعرض للنبى عليه الصلاة
لام وفى عهده عليه السلام فتحت اليمن وأسلم باذان فولاه عليه السلام
فكانت أول بلاد تحت حماية الفرس انضمت للإسلام ثم انضم إليه
ا البحرين وعمان وكانتا تحت حماية الفرس أيضاً فلما توفى رسول الله
الله عليه وسلم وانتهى أبو بكر من حروب أهل الردة انتدب سيف الله
بن الوليد ليكون أول من يضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية
ك فى بدء المحرم من السـنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ
لة « ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسى عند مصب دجلة » وأمده
قاع بن عمرو وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من شمال العراق
ه أن يبدأ بالمضيح « قرية على الفرات شمال العراق » وأمده بعبد يغوث
ى وأمرهما أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وأن لا يغزون معهما مرتد
رأيه رضى الله عنه كان لا يستعان بمن ارتد على غزو أبدا .

وقعــــة الأبلة

فسار خالد بن الوليد حتى قارب الأبلة فقسم جيشه ثلاث فرق على
ولى المثنى بن حارثة الشيبانى وعلى الثانية عدى بن حاتم الطائى وجعل
ثالثة تحت إمرته وسير الفريقين قبله وواعدهما الحفير ، موضع على طريق
ثر من مكة إلى البصرة وهو قريب من الأبلة ، وكان صاحب هذا الثغر
يما من عظماء الفرس إسمه هرمز وكان مبغضاً عند العرب لكثرة غزوه
فكلهم ناقم عليه ولما سمع بخبر خالد وأنه وعد طلائعه الحفير سبقه إليه
ى خالد بالناس إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها فنزل جيش المسلمين غير ماء
ى خالد جالدوهم على الماء فان الله جاعله لأصبر الفريقين وتقدم هو وسط
ف يطلب البراز راجلا فبرز إليه هرمز ونزل عن فرسه فاحتضنه خالد
رأى ذلك الفرس أرادوا الغدر بخالد وهجموا عليه فلم يمنعه ذلك عن
ولما رأى ذلك القعقاع حمل بجيش المسلمين فأزال الفرس عن خالد
ى القتال فانهزم المشركون وهذه أولى موقعة بين المسلمين والفرس ثم
مل خالد البشارة وخمس الغنيمة إلى أبى بكر بعد أن قسم أربعة أخماسها
المقاتلين للراجل ثلث الفارس وأرسل المثنى بن حارثة فى أثر المنهزمين
يتعرضوا للفلاحين بأذى كما أوصاهم بذلك أبو بكر ولما وصل خبر هذه
يمة إلى ملك الفرس واسمه أزدشير ومقامه بالمدائن ، وهى مدائن كانت
كاسرة على نهر الدجلة جنوبى بغــــداد وهى شرقية وغربية وكان
شرقية إيوان كسرى الشهير ، أرسل إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده عظيم
عظماء الفرس إسمه قارن فجمع المنهزمين ورجع بهم حتى وصل الثنى
طف النهر قرب البصره ، .

وقعة الثنى

ل به فسار إليه خالد ولما التقى الجيشان خرج قارن يطلب البراز
ثار هرمز فبرز إليه فارس مسلم فقتله وعندئذ حمل جمع المسلمين
ع المشركين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة سوى من غرق منهم فى النهر
خالد الجزية من الفلاحين وصيرهم ذمة وأرسل بالفتح والخمس إلى
(أما) ملك الفرس فإنه سير إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده الأندر
فى أثره آخر يقوده جاذويه فعسكر الجيشان كلاهما فى الولجة .

وقعة الولجة

ار خالد إليهما وقاتلهما المسلمون قتالا شديداً حتى هزم عسكر
ن ومات القائد الأندر زعز فى هزيمته وأصاب خالد أبناء من بكر
ل فقتلهم فغضب لهم قومهم من نصارى بكر فاجتمعوا باللبس
ملك الفرس ليمدهم بجيش يساعدهم على قتال المسلمين فكتب أزدشير
ن جاذويه المنهزم من الولجة يأمره بأن يسير إلى نصارى بكر ليكون
لى قتال المسلمين فلما جاءته الرسالة سير أمامه جابان وذهب هو إلى
ليعلم الأخبار ويستشيره فوجده مريضاً فتوقف هناك .

وقعة الليس

ما جابان فإنه وصل إلى جيش البكريين وعسكر معهم بالليس
ع على الفرات من قرى الأنبار ، فاقبل إليهم خالد بكتيبة وتوسط
طالباً البراز فبرز إليه رئيس من رؤساء بكر فقتله ثم حمل المسلمون
اعاجم فثبت هؤلاء كثيراً لترقهم قدوم بهمن وثبت المسلمون لتكون

كلمة الله هى العليا فما كان إلا ضحوة نهار حتى ولى الفرس الأدبار بعد أن
ل منهم مقتلة عظيمة فقسم خالد الغنائم وأرسل بالفتح والخمس إلى أبى بكر
كانت هذه المرقعة فى صفر من السنة الثانية عشرة .

فتح الحيرة

(ثم) سار قاصداً الحيرة ، هى عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهى
بى الفرات على قرب من الكوفة ، وكان خالد يسير بحراً فى الفرات
رج إليه مرزبان الحيرة وهو الازاذبة وعسكر بظاهرها وأرسل ابنه
طع الماء عن سفن المسلمين فبقيت على الأرض (وكانوا يقطعون الماء
ن الفرات بإرساله فى الترع المتفرعة منه) فسار خالد على خيل نحو بن
لازاذبه فقتله على فرات بادقلى ثم سار نحو الحيرة فهرب مرزبانها الأزاذبه
اصر خالد قصورها وهى القصر الأبيض وقصر الغريين وقصر بن مازن
قصر بن بقيلة ودعا أمراءها إلى الإسلام وأجلهم يوماً وليلة فأبوا وافتتح
سلمون الديور فصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور يطلبون منهم
سالحة المسلمين فنادى أمراء القصور قد قبلنا واحدة من ثلاث الإسلام
الجزية أو المحاربة فكف عنهم المسلمون ثم جاء الأمراء إلى خالد
دمهم ويتكلم عنهم عمر بن عبد المسيح فقال له خالد أسلم أنت أم حرب
، بل سلم فقال خالد ما هذه القصور قال بنيناها للسفيه نحبسه فيها حتى
اه الحليم فصالحهم خالد على الجزية وقدرت بمائة ألف وتسعين ألفاً
هدوا له هدايا على عادتهم مع ملوك الفرس فأرسل خالد بالفتح والهدايا
أبى بكر فقبل الهدايا وعدها من الجزية وأمر خالداً أن يعدها منها ،
كذا الدين دين الإسلام لم يرض خليفتنا الأول أن يأخذ شيئاً كانت
عية تدفعه لملوكها ملاطفة بل لا يؤخذ منهم إلا ما فرض عليهم .

ما بعد الحيرة

فلما) رأى دهاقين ما بعد الحيرة فعل خالد صالحوه على ما يلى :
ة من الفيلاليج إلى هر مزجرد على ألف ألف سوى جباية كسرى ثم
ى خالد أمراءه فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة ثم كتب إلى
الفرس كتاباً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد (فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن
وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم
كم ونجزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدى قوم
ن الموت كما تحبون الحياة) وكتب إلى المرازبة كتاباً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد (فالحمد لله الذى فض حدتكم
كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا
مة وأدوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب
) وفى ذلك الوقت دهى الفرس أمر عظيم لا يزيدهم إلا وهناً ولا يزيد
ين إلا قوة وهو اختلافاتهم الداخلية بعد موت ملكهم ازدشير
وجود من يولى من بيت كسرى فلما وصلتهم كتب خالد اتفق نساء
ى على تولية أحد أمراء فارس وهو الفرخزاد بن البنذوان حتى
ا على صالح للملك من بيت كسرى .

فتح الانبار

ما خالد فإنه سار من الحيرة قاصداً الأنبار (مدينة على شاطىء الفرات
الكوفة) وكان على جيشها شير زاد صاحب ساباط فأنشب معهم

لمسلمون القتال ولمـا رأى شيرزاد مالا قبل له به طلب الصلح على أمر لم
رضه خالد فرد رسوله ونحر الضعاف من إبل الجيش ورماها فى خندق
لمشركين وعدى إليهم فلما رأى ذلك شيرزاد صالح خالداً على ما أراد فقبل
نه خالد وسيره إلى مأمنه فلحق ببهمن .

فتح عين التمر

ثم سافر خالد قاصدا عين التمر (بلد فى برية العراق على ثلاثة مراحل
ن الأنبار) بعد أن استخلف عن الأنبار الزبرقان بن بدر فوصل إلى عين
لتمر وبها جمع عظيم من الفرس عليهم بهرام بن بهرام جوبين ومعهم عدد
عظيم من العرب من النمر وتغلب الذين يقيمون بتلك الجهات تحت حكم
لأ كاسرة فجعل الفرس فى المقدمة العرب لأنهم أدرى بقتال العرب فحمل
خالد على رئيسهم وهو يسوى صفوفه فأسره فانهزم قومه من غير قتال ولما
رأى ذلك بهرام هرب هو وجيشه أيضاً وترك الحصن فتحصن به المنهزمون
واستأمنوا لخالد فلم يؤمنهم ثم بعث بالخمس والبشارة إلى أبى بكر .

فتح دومة الجندل

ثم سار من عين التمر قاصدا دومة الجندل[1] ليعين عياض ابن غنم على
فتحها وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أرسل خالد بن الوليد
إلى دومة الجندل فى حياته وكان بها أكيدر بن عبد الملك فأصابه خالد
فى ليلة مقمرة فأسره وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن دمه
وصالحه على الجزية ورده إلى قريته فلما كان فى عهد أبى بكر أرسل عياض

---

(١) يرى ياقوت أن دومة الجندل هذه ليست هى التى فتحت زمن النبى صلى
الله عليه وسلم وإنما هى دومة أخرى أسسها أكيدر مثالها .

م لفتح العراق من أعلاه فاجتمع عليه وهو بناحية دومة الجندل
من نصارى العرب فأرسل إليه خالد بن الوليد كتاباً يستحثه فيه
ته فصادفه الكتاب وهو بعين التمر فأقبل حتى جعل دومة بينه وبين
ى فخرج الجودى الذى كان يشارك أكيدرا فى إمارة دومة إلى حرب
أرسل فرقة تقاتل عياضا فهزم كل من القائدين من يليه وفتح الحصن
وأقام به خالد . أما أكيدر فإنه قد فارق الجودى لأنه لم يتبع ما أشار
ه من عدم قتال خالد فأرسل خالد وراءه من قبض عليه وقتله لأنه
نقض ما عاهد عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إعطاء الجزية .

وقعة الحصيد والخنافس

ا عرب الجزيرة فإنهم ثارت حميتهم لمن قتل من العرب بعين التمر
ا الفرس يطلبون منهم إرسال الجيوش لتكون لهم عونا فخرج من
ى عظيمان يريدان الأنبار وانتهيا إلى الحصيد والخنافس (موضعان
لأنبار) فسمع بالخبر القعقاع خليفة خالد على الحيرة فأرسل إليهما
حالتا بينهما وبين الريف ثم قدم خالد راجعاً إلى الحيرة عند ما بلغه
سير القعقاع وأبا ليلى بن فدكى إلى لقاء جمع الفرس فسارا حتى التقيا
ى من الفرس مقتلة عظيمة وقتل القائدان وغنم المسلمون ما فى الحصيد
ت الأعاجم إلى الخنافس وبها المهبوذان من الأساورة فسار أبو ليلى
آثارهم حتى هزم المهبوذان إلى المضيح وكان به بعض عرب الجزيرة
خالد إلى القعقاع وأبى ليلى أن يوافياه على المضيح فى ساعة عينها
ى من به من عرب الجزيرة ووافاها هو فى جيشه فلقاه بها وقاتلوا
وهزموهم شر هزيمة ثم توجه خالد إلى بجير التغلبي وهو متجمع فى
التى فبيتهم خالد بغارة شعواء حتى لم يفلت منهم أحداً (ثم) أرسل
والأخماس إلى أبى بكر .

وقعة الفراض

وسار إلى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وكان الحر شديداً والشهر رمضان من السنة الثانية عشرة فافطر بها هو والمسلمون وكان بها جمع عظيم من الفرس والروم والعرب اتفقوا جميعاً على حرب المسلمين وعبروا نهر الفرات فقاتلهم خالد وقاتل المشركون قتالا شديداً لكنهم لم يلبثوا أن انهزموا ﴿ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ ثم أمر خالد بالرجوع إلى الحيرة وتخلف هو مظهراً أنه فى الساقة ويقال إنه توجه إلى مكة فحج ولحق ساقة الجيش قبل أن تدخل الحيرة وهذا غريب جداً لبعد المسافة .

صرف خالد إلى الشام

وفى ذلك الوقت صرف أبو بكر خالد بن الوليد عن حرب العراق وسيره إلى الشام مدداً لجيوش المسلمين هناك فاستخلف على جيش العراق المثنى بن حارثة الشيبانى فأقام بالحيرة وأذكى العيون ووضع المسلحة وكان ملك فارس بعد رحيل خالد شهربران بن أزدشير فوجه إلى المثنى جيشاً عظيما يقوده هرمز .

وقعة بابل

فخرج إليه المثنى من الحيرة حتى أتى بابل (بلدة قديمة شرقى الفرات أمامها مدينة الحلة الآن) فأقام بها وهناك لاقاه هرمز فى جيش الفرس فقاتله جيش المسلمين قتالا شديداً حتى هزم وبعد هذه الهزيمة مات شهربران وكثرت الاختلافات الداخلية فى مملكة الفرس فشغلوا عن المسلمين وأبطأ خبر أبى بكر على المثنى فاستخلف على جيشه بشير بن الخصاصية وتوجه

المدينة ليستأذن أبا بكر فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين
يده مريضاً فاستحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له إنى لأرجو
أموت يومى هــذا فإذا مت فلا تمشين حتى تندب الناس مع المثنى
تشغلكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى وقت وفاة
ل الله صلى الله عليه وسلم وما صنعته وما أصيب الخلق بمثله وإذا فتح
على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى عراقهم فإنهم أهله وولاة أمره
ى الجرأة عليهم ، هذا ما انتهى إليه أمر فارس فى عهد الصديق رضى الله
نقلص ظل ملك الفرس عن كل الأراضى الخصبة التى فى غربى الفرات
مايعبر عنه بريف العراق فصار حد مملكة فارس هو نهر الفرات .

بدء أمر الروم

مملكة الروم هى المملكة الثانية العظمى التى كانت تحد البلاد العربية
شمال وأول ما كان بينها وبين المسلمين كتاب رسول الله صلى الله عليه
إلى هرقل ملك الروم يدعوه فيه إلى الإسلام (والكتاب وحديث
سفيان عنه مذكوران فى كتابى نور اليقين صفحة ٢١١ وما بعدها من
ة الثانية) ثم كتب صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى
غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعوه إلى
لام فأدركته العزة بالإثم فأراد أن يغزو رسول الله صلى الله عليه
فأتاه أمر من قيصر ينهاه عن ذلك . وفى السنة الثامنة من الهجرة جهز
السلام جيشاً إلى الشام تحت إمرة زيد بن حارثة وهى غزوة مؤته
لهم الروم جمعاً كثيراً مائة ألف أو يزيدون فاستشهد زيد وجعفر
ى طالب وعبد الله بن رواحة واستلم سيف الله خالد إمرة الجيش
من الهلاك . والكلام فى هذه الغزوة مستوفى فى نور اليقين ، وفى

السنة التاسعة تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم فبلغ تبوك وأتاه صاحب أيلة يوحنا بن رؤبة وصاحب جرباء وأذرح وأعطوا الجزية فلما بلغ هرقل مافعله يوحنا أمر بقتله وصلبه عند قريته . وفى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز سرية تحت إمرة أسامة ابن زيد بن حارثة لتتوجه إلى أبنى وقضاعة للقصاص من قتلة أبيه فتوفى عليه السلام ولم يخرج أسامة فلما استخلف أبو بكر جهز السرية فسار أسامة حتى وصل أبنى وأوقع بقبائل من قضاعة ثم رجع فائزاً : فلما عقد أبو بكر الألوية فى ذى القصة عقد منها لواء خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلى مشارف الشام ثم أمره أن يكون ردءاً للمسلمين بتيماء لا يفارقها إلا بأمره ولا يقاتل إلا من قاتله فبلغ خبره هرقل ملك الروم فجهز إليه جيشاً من العرب التابعين للروم من بهراء وسليح وكلب ولخم وجذام وغسان فسار إليهم خالد بن سعيد فلقيهم على منازلهم فافترقوا وأرسل هو لأبى بكر بالخبر فكتب إليه يأمره بالإقدام فتقدم ولقيه بطريق رومى إسمه ماهان فهزمه خالد وكتب إلى أبى بكر يستمده فعند ذلك اهتم رضى الله عنه بأمر الشام وكان قد ورد إليه أوائل مستنفرى اليمن وقدم عكرمة بن أبى جهل فيمن معه من تهامة والبحرين وأرسل إلى عمرو بن العاص وكان والياً على صدقات سعد وهذيم من قضاعة كان أبو بكر سيره إليها يوم عقد الألوية فى ذى القصة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده ولايتها فكتب إليه أبو بكر (إنى كنت رددتك إلى العمل الذى ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك فى الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك) فكتب إليه عمرو (إنى سهم من سهام الإسلام وأنت بعد رسول الله الرامى بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به) فأمره فقدم عليه فجهز أبو بكر أربعة جيوش

على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين (كورة بالشام فى جنوبه)
وعلى ثانيهما شرحبيل بن حسنة وكان قـــدم عليه من العراق ووجهه إلى
الأردن (كورة بالشام سميت باسم نهر هناك يبتدىء من بحيرة طبرية
وينتهى بالبحيرة الميتة) وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجهه إلى البلقاء
بلد بالشام وأتبعه بأخيه معاوية وعلى الرابع أمين هذه الأمة أبو عبيدة
عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص فسارت الأمراء على بركة الله وكان
أبو بكر يودعهم ماشياً ويوصيهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم . ومما يؤثر
عنه رضى الله عنه وصيته العظيمة ليزيد وقد أحببت إيرادها برمتها لما فيها من
النصائح التى يلزم كل أمير جيش اتباعها وهاهى : «إنى قد وليتك لأبلوك وأجربك
وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك فعليك
بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل مايرى من ظاهرك وإن أولى الناس بالله
أشدهم تولياً له وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد
(هو ابن سعيد بن العاص الذى كان أبو بكر سيره إلى الشام أولا) فإياك
وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت على جندك فأحسن
صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام
ينسى بعضه بعضاً وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلاة لأوقاتها
بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم
وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون ولا تريهم فيروا خللك
ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن
أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك وإذا
استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك
فتؤتى من قبلك وأسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك
الأستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم
بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير

فراط وأعقب بينهم بالليل والنهار واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة
نها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلحن فيها
لا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعاً ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده
لا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف
علانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء
لا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر
ستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم
» ولم تزل الجيوش سائرة حتى وصلت الشام فنزل عمرو بن العاص العربة
ن فلسطين ونزل شرحبيل الأردن ونزل يزيد البلقاء ونزل أبو عبيدة
الجابية فلما بلغ ذلك هرقل ملك الروم قال لقومه أرى أن تصالحوا المسلمين
و الله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع
بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على بلاد الشام ونصف بلاد الروم
رفضوا رأيه حتى نزل حمص « مدينة شامية فى الشرق من نهر العاصى وعلى
بعد قليل منه » وأمر بجميع الجيوش فاجتمع من الروم عدد عظيم فوجه
لكل أمير جيشاً يفوق عدة من معه فأشار عمرو بن العاص على الأمراء
بالاجتماع فأرسلوا إلى أبى بكر فى ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو وقال
« إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما يؤتون من الذنوب فاحترسوا منها » .

وقعة اليرموك

فاجتمعوا باليرموك (وهو واد فى الجنوب الشرقى من الشام) وكل
واحد من الأمراء أمير على جيشه والروم أمامهم وبين الفريقين خندق
فكان الروم يقاتلون باختيارهم وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم وأقام
الفريقان على ذلك صفراً والربيعين من السنة الثالثة عشرة من الهجرة
فأرسل الأمراء إلى أبى بكر يستمدونه فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند

راق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى
م مدداً لأمرائه فسار خالد ينسف الأرض نسفاً حتى وصل إلى المسلمين
ربيع الآخر وصادف وصوله وصول ماهان بجيش مددا للروم فتولى
قتاله وقاتل كل أمير من بإزائه متساندين فرأى خالد أن هذا القتال
يجدى نفعاً ما دامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم
ل بعد أن حمد الله وأثنى عليه (إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه
ى ولا الفخر اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم
ا بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان هذا لايحل
ينبغى وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا
لم تؤمروا فيه بما ترون أنه رأى من وإليكم ومحبته) قالوا هات فما الرأى
دار بأن يؤمر على الجيش كله أمير واحد ويتناوبوا الإمارة حتى يؤمر
فى اليوم الأول فقبلوا مشورته وأمروه فخرج رضى الله عنه فى تعبية لم
ها العرب قبل ذلك وليس تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس
فرق) فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس
قام فيها عمرا وشرحبيلا وجعل الميسرة كراديس وأقام فيها يزيد وجعل
كل كردوس رجلا من الشجعان وكان عدد الكراديس ستة وثلاثين كل
ردوس ألف رجل ثم أمر القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل أن
با القتال فأنشباه والتحم الناس وتطارد الفرسان وأظهر خالد عجائب
جاعة والحمية الإسلامية ثم إن الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن
اقفهم فنهض خالد بالقلب حتى حال بين خيل المشركين ورجلهم فانهزم
رسان وتركوا الرجالة فأفرج لهم المسلمون واشتدوا على الرجالة فهزموهم
تلوا منهم خلقا كثيرا لا سيما أناسا منهم قد اقترنوا فى السلاسل لئلا
وا وقاتل نساء المسلمين فى ذلك اليوم قتالا شديدا وأبلين بلاء حسنا
ن أبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا أبو سفيان بن حرب بسعيه وتحريضه

نتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة وفى أثنائها جاء بريد المدينة
رت الصديق وخلافة عمر بن الخطاب وتولية أبى عبيدة رئاسة الجيوش
يبلغ هذا الخبر الجيش إلا بعد أن انقضت الموقعة .

وفاة الصـــديق

اسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة حم أبو بكر فلما
تد عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم فى العهد لعمر بن الخطاب
لهم قال خيرا فدعا عثمان بن عفان وأملى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم
ا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا
ول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر إنى
تعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا فإن صبر وعدل فذلك علمى
ورأيى فيه وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت لكل امرىء
اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم أمر بالعهد فقرىء
المسلمين وقد أطل عليهم فقال لهم أترضون من استخلفت عليكم فإنى
ستخلفت عليكم ذا قرابة وإنى قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا
ى والله ما ألوت من جهد الرأى فقالوا سمعنا وأطعنا ثم نادى عمر فقال له
ى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر إن لله
آ بالليل ولا يقبله فى النهار وحقاً فى النهار ولايقبله فى الليل وإنه لايقبل
ة حتى تؤدى الفريضة ألم تر ياعمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه
القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غدا إلا حق
يكون ثقيلا ألم تر ياعمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم
مة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غدا إلا باطل
يكون خفيفاً ألم تر ياعمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة
آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله

له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه . الم تر ياعمر إنما ذكر الله أهل
سوأ أعمالهم فإذا ذكرتها قلت إنى لأرجو أن لا أكون منهم وإنما
هل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء فإذا
ا قلت أين عملى من أعمالهم فإن حفظت وصيتى فلا يكون غائب
إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه) ثم توفى رضى الله عنه
تين من جمادى الآخرة فكانت خلافته رضى الله عنه سنتين وثلاثة
عشر ليال توجها بأعماله الجليله وسيرته الحميدة ، فبه كان لم شعث
ن بعد فرقتهم برده الكثير من العرب وهو الذى ابتدأ تجريد الجيوش
ولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد الإسلام لدعوتها إلى الدين القويم
حول تحت حكمه حتى يكون عدله ومساواته عامين لجميع الأمم الذين
ملوك يعدون أنفسهم آلهة ويعدون رعيتهم عبيدا ويسيرون وراء
وشهواتهم مهما عاد من ضررها على الرعية ففازت جيوشه بالنصر
ع مواقعها وكان يقضى له عمر بن الخطاب وأمينه أبوعبيدة ويكتب
ن بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد ابن ثابت . وكانت ولايات
م فى عهده (مكة) وواليها عتاب بن أسيد الذى ولاه رسول الله
عليه وسلم عليها عقب الفتح (والطائف) وعليها عثمان بن أبى الثقفى
اء) وعليهـــا المهاجر ابن أبى أمية (وحضرموت) وعليها زياد
(وخولان) وهى قبيلة عظيمة باليمن كانت تسكن فى جباله الشرقية
ليهم يعلى بن أمية (وزبيد) وعليها أبو موسى الأشعرى (ونجران)
ضع شمالى اليمن يقيم به قبائل من بنى الحارث بن كعب ابن علة من
بنى ذهل بن مزيقيا من الأزد وكانت رياسة نجران حين النبوة فى
ث بن كعب ليزيد بن عبد المدان بن الديان ووفد أخوه حجر
المدان على النبي صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد . والى
عهد أبى بكر جرير بن عبد الله البجلى (والبحرين) وهى شواطىء

بلاد العرب المطلة على الخليج الفارسى وواليها العــلاء بن الحضرمى (وجرش) وهو مخلاف باليمن . والمخلاف الكورة وواليها عبد الله ابن ثور (ودومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وأمير جند العراق المثنى ابن حارثة الشيبانى وقاعدة أعماله الحيرة وأمير جند الشام خالد بن الوليد القرشى المخزومى . وكان آخر ما تكلم به أبو بكر (توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) وغسلته زوجه أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وكفن فى ثوبيه كما أوصى وصلى عليه خليفته من بعده عمر بن الخطاب ودفن ليلا فى حجرة عائشة وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل قبره إبنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبد الله .

ترجمة عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبـــد الله
ط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر العدوى
يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى وكنيته
ص ولقبه الفاروق وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية
خالد بن الوليـد : ولد رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من
سول الله صلى الله عليه وسلم وتربى على الشهامة والنجدة والحمية
ولما جاء الإسلام كان من أكثر المعارضين له فلما هاجر المسلمون
ض الحبشة خوف الفتنة من الله عليه بالإسلام ببركة دعوة رسول
الله عليه وسلم « اللهم أعز الإســـلام بعمر » فأتى دار الأرقم
أرقم عبد مناف بن أبى جند أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
ه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً فيها ودان بالإسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك الاختفاء وإظهار الدين
عليه السلام ومعه المسلمون صفين يقدم أحدهما عمر بن الخطاب
لآخر حمزة بن عبد المطلب ولا تسل عما نال مشركى قريش من
إذ ذاك حتى تعصبوا على عمر وأرادوا قتله فحماه العاصى بن وائل
بن سعيد بن سهم والد عمرو بن العاص وصار بعـد ذلك عمر
ذا الدين بما آتاه الله من قوة البطش حتى قال عبد الله بن مسعود
أعزة منذ أسلم عمر) رواه البخارى فلما أذن الله بالهجرة إلى
كان المسلمون يتسللون إلى الهجرة خفية إلا عمر رضى الله عنه فإنه
عليها جاء قريشاً فى ناديهم وأخبرهم بعزمه وقال من أراد أن تثكله
ه أمه فليلقنى وراء هذا الوادى فلم يجسر أحد على اتباعه وحضر مع
ته صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها من بدر إلى تبوك وزوجه ابنته

المؤمنين حفصة بعد أن توفى عنها زوجها خنيس بن حذافة بن قيس بن
ى ابن سهم من جراحة أصابته بأحد ومن مآثره قول رسول الله صلى
عليه وسلم « بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر إلى الرى يجرى
ظفرى أو أظفارى - ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال
لم » وقوله عليه السلام « رأيت فى المنام كأنى أنزع بدلو بكرة على
ب (بئر) فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً (دلوا) أو ذنوبين نزعا ضعيفاً والله
فر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا (دلوا عظيمة) فلم أر عبقريا
سيدا) يفرى فريه (يأتى بالعجب فى عمله مثله) حتى روى الناس بعطن »
أى أناخوا حول الماء بعد السقى) وفى هذا الحديث إشارة إلى مدة خلافة
شيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال عليه السلام مخاطباً لعمر
والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاقط إلا سلك غير فجك »
قال عليه السلام « لقد كان فيما قبلكم محدثون ملهمون فإن يكن فى أمتى
حد فإنه عمر » وقال عليه السلام « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على
عليهم قمص فمنهما ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر
عليه قميص اجتره قالوا فما أولته يارسول الله قال الدين » وكان عمر كثيراً
يشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشياء ينزل بها القرآن كمسألة
سرى بدر ومسألة الحجاب ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم جزع
مر جزعا شديداً على صلابته وشدته حتى قال والله ما مات رسول الله صلى
له عليه وآله وسلم قالت أم المؤمنين عائشة قال عمر والله ما كان يقع
ى نفسى إلا ذاك وليبعثه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم فلما جاء
صديق وذكرهم خشع ورجع إلى الصواب وكأن الله سبحانه وتعالى أراد
لا يكون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء ليس فيه فائدة
لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو
كر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم هكذا قالت أم المؤمنين من

ة البخارى وكان لعمر فضل عظيم يوم السقيفة حيث سارع إلى بيعة
يق قبل أن تحدث فرقة ولما ولى الصديق كان له عمر أعظم مشير حتى
ا بكر لم ير غيره أهلا للخلافة بعده فعهد له بها ونعما فعل . وكان رضى
نه طويلا أصلع أعسر أيسر يعمل بيديه كلتيهما وكان لطوله كأنه
ب شديد البياض تعلوه حمرة وكان أشيب يضفر لحيته ويرجل رأسه
له من الأولاد عبــــد الله وعبد الرحمن الأكبر وأم المؤمنين حفصة
الله وقتل بصفين مع معاوية ومن ولده فاطمة وعاصم ورقية وزيد
الرحمن الأوسط وكان عمر رضى الله عنـه يلقب بالفارق : بويع
فة صبيحة وفاة أبى بكر رضى الله عنه ولما بويع صعد المنبر وقال إنما
رب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده أين يقوده أما أنا فورب
لأحملنـكم على الطريق .

امر العراق فى عهد عمر

فى الصديق رضى الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق مقيم
يطلب المدد فلما ولى عمر ندب الناس مع المثنى فكان أول منتدب
بو عبيد بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد الأنصارى وسليط بن
ر عليهم أسبقهم انتداباً أبا عبيد ابن مسعود وقال له (اسمع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعا
فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة
نى أن أؤمر سليطا إلا سرعته إلى الحرب والسرعة إلى الحرب إلا
ضياع والله لولا سرعته لأمرته) ثم قال (إنك تقدم على أرض
الخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه
الخير فجهلوه فانظر كيف تكون وأحرز لسانك ولا تفشين سرك
حب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره وإذا لم يضبطه

ن بمضيعة) ثم أمر المثنى أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن
نفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعا حتى وصل الحيرة
عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين باختلافاتهم الداخلية على من
ملكهم ثم اتفقوا أخيرا على ولاية بوران بنت كسرى وأن يقوم بأمرها
تم حتى يجدوا رجلا من بيت كسرى يصلح للملك فاستعد رستم لقتال
سلمين وجهز لذلك الجيوش فأرسل جيشاً إلى فرات بادقلى وقائده جابان
يشاً آخر إلى كسكر (بلد على الشاطىء الغربى لدجلة بين بغداد والبصرة
آثارها الآن مدينة واسط) وقائده ترسى وجيشاً آخر لمصادمة المثنى
رسل إلى الفلاحين أن ينتقضوا على المسلمين ففعلوا ولما بلغت هـــذه
أخبار المثنى خرج من الحيرة حتى نزل خفان (مأسدة قرب الكوفة)
نتظر أبا عبيد حتى وصل بعد شهر من مقدم المثنى وكان قد اجتمع من
رس جمع عظيم وعسكروا بالنمارق (بلد شمالى واسط) والزاب (نهر بين
وراء وواسط ونهر آخر بقربه وعلى كل منهما كورة وهما الزابان ويجمع
حواليه من الأنهار فيقال الزوابى ونهر جور كذلك من الأنهر المتشعبة
جنوبى الجزيرة) فهزمت السرايا من تجمع فى هذه الجهات من الفرس
طلب أمراؤها الصلح فأجيبوا ودفعوا الجزاء معجلا ثم جاءوا إلى أبى عبيد
نواع الأطعمة المحبوبة عند الفرس فقال لهم هل أكرمتم الجند بمثلها
الوا لم يتيسر ونحن فاعلون فقال أبو عبيد (لاحاجة لنا فيه بئس المرء أبو عبيد
ن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشىء ولا والله لا آكل ما أتيتم به
لا مما أفاء الله إلا مثل ما يأكل أوساطهم) فليتأمل المسلمون كيف كان
سلفهم رضى الله عنهم ثم سار حتى لقى الجالينوس بباقشياثا من باروسما
قاتله حتى هرب وانهزم جيشه فأرسل أبو عبيـــد إلى عمر بالبشارة
الأخماس وفيها تمركان لترسى لا يأكله إلا ملوك الأعاجم أو من أكرموه
شىء منه أو لا يغرسه غيرهم وكتب إلى عمر (إن الله أطعمنا مطاعم كانت

ة تحميها وأخشينا أن تروها لتشكروا إنعام الله وإفضاله) ولما رجع
س إلى رستم منهزما جهز جيشاً عظيما تحت قيادة بهمن جاذويه
ن بذى الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كابيان)
ثمانية أذرع فى طول إثنى عشر من جلود النمر فلما بلغ ذلك أبا عبيد
ى الحيرة وأقبل الجالينوس حتى نزل قس الناطف على الفرات
و عبيد فنزل عدوته مقابلا لجيش الفرس وبين الفريقين نهر
فنصب الفرس جسرا عليه .

وقعة الجسر

ر بهمن المسلمين فى أن يعبروا هم أو يعبر الفرس إليهم فاختار
العبور فنهاه ذوو الرأى منهم فلم يقبل وقال لا يكون الفرس أجرأ
ت منا فعبروا واشتد القتال وكانت الفيلة كثيرة فى جيش الفرس
خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم فقال أبو عبيد احتوشوا الفيلة
بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هو على الفيل الأبيض ففعل به
كن الفيل خبطه بيده فوقع فوطئه الفيل حتى مات فأخذ الراية
فقاتل عن جثته حتى تمكن من أخذها ثم قتل فتتابع الراية سبعة
ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل ثم أخذ الراية المثنى فرأى أن الأمر
ى المسلمين وابتدأ بعضهم بالهزيمة فرأوا الجسر مقطوعا قطعه أحد
لئلا يفروا فلم يعقبهم ذلك بل نزلوا فى الفرات فغرق بعضهم ونجا
فنادى المثنى من عبر وأمرهم بعقد الجسر فعقدوه وأمر المسلمين
وقال اعبروا على هينتكم فإنا دونكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا
وبقى هو حتى عبر من عبر ثم عبر آخرهم وكان آخر من قتل على
سليط بن قيس ومات من المسلمين فى هذه الوقعة ما ينيف على أربعة
ن قتيل وغريق وقد ذهب كثير ممن عبر عن المثنى استحياء مما فعلوه

من الهزيمة فبقى المثنى جريحا فى قلة من جيشه ومنع الله بهمن عن العبور خلف المسلمين بما بلغه من اختلاف الفرس وانقسامهم قسمين قسم يريد رستم وقسم يريد الفيرزان فرجع عن قصده ولما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة وأن كثيرا من الناس ذهبوا فى البلاد استحياء قال (اللهم إن كل مسلم فى حل منى أنا فئة كل مسلم يرحم الله أبو عبيد لو كان انحاز إلى لكنت له فئة) ثم أمد المثنى بجيوش كثيرة فيهم جرير بن عبد الله البجلى وقومه وعصمة ابن عبد الله الضبي وقومه واستنفر من حسنت توبته من المرتدين فكلما أتاه أحد منهم وجهه إلى المثنى (أما) رستم والفيرزان اللذان يتنازعان إمرة الفرس فإنهما لما علما بذلك وجها جيشاً بقيادة مهران الفارسى إلى الحيرة فكتب المثنى إلى جرير وعصمة ومن معهما أن يوافوه بالعذيب (مما يلى الكوفة الآن) وسار المثنى حتى التقى بهم هناك فلقوا جيش مهران وبينهما نهر الفرات فاختار المثنى أن يعبر إليه الفرس لأن المسلم لا يلدغ من جحر مرتين فأبلغ الفرس ذلك فعبروا أما المثنى فسوى صفوفه وصار يحرض المسلمين ويعظهم ويقول إنى لأرجو ألا تؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يسرنى اليـــوم لنفسى شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم وأنصف الناس من نفسه فى قوله وفعله وخالطهم فى المحبوب والمكروه وقال إنى مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الرابعة فاحملوا فلما كبر الأولى أعجلتهم الفرس فرأى خللا فى صفوف بنى عجل فأرسل إليهم الأمير يقرئكم السلام ويقول لكم لا تفضحوا المسلمين اليوم فاعتدلوا فضحك فرحا ثم اشتد القتال وحمل المثنى على قلب المشركين وفيه مهران والمجنبتان تقتتلان لا تستطيع إحداهما أن تفرغ النصر لأميرها لا المسلمون ولا المشركون فتغلب قلب الإسلام على قلب الشرك وأوجع فيه حتى قتل مهران فلما رأى ذلك مجنبتا المسلمين مالوا على من أمامهم ميلة واحدة فردوهم على أعقابهم مدحورين فتسابقوا إلى الجسر يريدون العبور فسبقهم إليه المثنى وحال بينهم و بين مايشتهون فافترقوا

ن ومنحدرين وكان المثنى رضى الله عنه يذكر هذا العمل من زلاته
(لاينبغى إحراج من لايقوى على امتناع) ثم سير سرية لتعقب
فبلغت ساباط (موضع بالمدائن) وافتتحها وصار بعد ذلك طريق
ن من الحيرة إلى شواطىء دجله آمنا ثم سار قاصداً سوق الخنافس
ع قرب الأنبار) وسوق بغداد بعد أن خلف على الحيرة بشـــير
صاصية فأغار عليهما وسار حتى نزل نهر الساحين بالأنبار ثم سرح
قتال جمع من العرب بصفين (موضع غربى الفرات من جهة الشمال
لآن ولاية حلب الشهباء) فسارت إليهم وهزمتهم وبذلك صار سواد
للسلمين يأخذون الجزية من أهل الذمة ويستغلون مافتحوه عنوة
للفرس سلطة ماغربى الفرات وضعفت فى بلاد الجزيرة فتأثر من
مة الفرس ورأوا ملكهم آخذ فى الاضمحلال فالزوال إن لم يتلافوا
يسعوا أولا فى إزالة هذه الاختلافات التى كادت تقضى على حياتهم
كبراؤهم عند رســـتم والفيرزان وقالوا لهما إنه لم يساعد العرب
م الظفر علينا إلا تفرقكم وتخاذلكم فان لم تحسموا هذا النزاع وتلتفوا
بدأنا بكم فاشتفينا قبل أن يضيع ملك فارس فانتهى الأميران إلى قول
وبحثا عن رجل من آل كسرى يصلح لولاية الملك وبعد الجهد
إبنا له اسمه يزدجرد فتوجاه بتاج الملك وفرح به الأمراء وجميع
أطاعه الكل فسمى جيوشاً لحماية ثغور البلاد واسترداد مافقد منها
يشاً للأبلة وجيشا للحيرة وجيشاً للأنبار وكانت هذه أعظم ثغورهم
ة الغربية فبلغت المثنى هذه الأخبار فأرسل لعمر بها فقال عمر والله
ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيساً ولا ذا رأى أو شرف
ولاخطيباً ولاشاعراً إلا رماهم به وكتب إلى المثنى يأمره بالإنسحاب
ن العجم والتفرق فى المياه حتى تجتمع الجيوش وأمره ألا يدع فى
مضر أحداً من أهل النجدات ولافارساً إلا أحضره طوعا أو كرها

نزل المثنى جيشه على حدود بلاد الفـــرس أولهم بالحلة وآخرهم بفضى وهو جبل البصرة) متناظرين يغيث بعضهم بعضا وكتب عمر إلى عماله أن بعثوا من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى وخرج إلى الحج سنة ثلاث عشرة فحج ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى فلما اجتمع عند عمر جيش عظيم خرج بهم من المدينة بعد أن استخلف عليها على بن أبى طالب ونزل بضرار (موضع قرب المدينة) فعسكر به والمسلمون لايعلمون قصده أيسافر إلى العراق أم يقيم فسأله عثمان بن عفان عن حركته فأعلمهم واستشارهم أيقيم ويولى قيادة الجيش غيره أم يقود الجيش بنفسه فقال العامة سر وسر بنا معك وأشار خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمقام وتولية رجل من أهل الشهامة والنجدة أميراً على الجيش فتبع رأيهم وانتخب لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فولاه ووصاه وكان فيما قال له (ياسعد بن أم سعد لايغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا يمحو السىء بالسىء ولكنه يمحو السىء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس فى دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة فانظر إلى الأمر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه) ثم سرحه بأربعة آلاف وأتبعه بمثلها وأرسل إليه عهداً هذه صورته .

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون

ية عدوهم لله ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم
تنا ليست كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة
نتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة
لله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ولاتعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل
لاتقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم من
ر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بالمعاصى كفار المجوس
وا خلال الديار وكان وعدا مفعولا وسلوا الله العون على أنفسكم كما
نه النصر على عدوكم وأسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى
م ولاتجشمهم مسيرا يتعبهم ولاتقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى
ا عدوهم والسفر لم ينتقص من قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى
س والكراع وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة
ن بها الأنفس ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل
ح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولايرزأ أحد من
شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها
بروا فتولوهم خيراً ولاتنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح وإذا
ت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولايخف عليك أمرهم وليكن
ك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن
وب لاينفعك خبره وإن صدقك فى بعض والغاش عين عليك وليس
لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث
يا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع
تهم واختر للطلائع أهل البأس والرأى من أصحابك وتخير لهم سوابق
فإن لقوا عدواً كان أول ماتلقاهم القوة واجعل أهل السرايا من أهل
د والصبر على الجلاد لاتخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك
عما حابيت به أهل خاصتك ولاتبعث طليعة ولا سرية فى وجه

يخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك
وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة
ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها
كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك حراسك على عسكرك
وتيقظ من البيات جهدك ولا تأت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه
لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على
عدوكم والله المستعان) ولما وصل سعد زرود بلغه أن المثنى توفى من أثر
جراحة أصابته وأنه ولى على جيشه بشير بن الخصاصية فجمع سعد إليه
جيش المثنى وكان ثمانية آلاف وعسكر بشراف وعبى الجيش وأمر الأمراء
وعرف على كل عشرة عريفاً وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة
أيضاً ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع فجعل على المقدمة زهرة
بن الحوية فانتهى إلى العذيب وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة
شرحبيل بن السمط الكندى وخليفته خالد بن عرفطه وعلى الساقة عاصم
بن عمرو وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى
وعلى الرجالة جمال بن مالك الأسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى اليمنين
الحنفى وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن ابن ربيعة الباهى وكاتب الجيش زياد
بن أبى سفيان ورائده وداعيه سلمان الفارسى وكل ذلك بأمر من عمر ثم
سار حتى نزل القادسية (قرية قرب الكوفة ينزل بها حاج الكوفة الآن)
بين العتيق والخندق (هو حفير لسابور ملك الفرس ببرية الكوفة) والعتيق
أحد فروع الفرات بحيال القنطرة (وهى قرية بها قنطرة على فرع من فروع
الفرات فعرفت القرية بها) وكتب عمر إلى سعد (إنى ألقى فى روعى أنكم
إذا لقيتم العدو غلبتموهم فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو إشارة
أو لسان كان عندهم أماناً فأجروا لهم ذلك مجرى الأمان والوفاء فإن الخطأ
بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم) وأقام سعد

ية شهراً لا يأتيه من الفرس خبر فبث سراياه بين كسكر والأنبار
على من ليس لهم ذمة ومن غدر من أهلها فأرسل أهل السواد إلى
ملك الفرس يخبرونه بما صنع المسلمون وأعلموه إن تأخر ألقوا
فأرسل يزدجرد إلى رستم وأمره بالاستعداد والتأهب ليكون قائداً
عظيم يحارب المسلمين فامتثل كرهاً لأنه كان من رأيه مطاولة المسلمين
وا وخرج فعسكر بساباط وبلغ خبره سعداً فبلغه عمر فأرسل إليه
يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث رجالا
المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم)
سعد جماعة من الأشراف دعاة إلى يزدجرد منهم النعمان بن مقرن
زرارة والأشعث بن قيس وفرات بن حيان وعاصم بن عمر
ن معد يكرب والمغيرة بن شعبة فلما وصلوا المدائن أدخلوا على
فسألهم بواسطة ترجمانه ماجاء بكم ودعاكم إلى غزونا والولوغ
من أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فتكلم عنهم النعمان بن مقرن
ن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر
إلى إجابته خيرى الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلا قاربه منها فرقة
ه منها فرقة ثم أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب فبدأنا فدخلوا
رجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعاً فضل ماجاء
ى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمر أن نبتدىء بمن جاورنا
فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن
قبح القبيح كله فإن أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه
أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا
كموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن بذلتم الجزاء قبلنا
اكم وإلا قاتلناكم) فقال يزدجرد إنى لا أعلم أمة فى الأرض كانت
أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم فقد كنا نوكل بكم قرى

احى فيكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرور
كم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم
رمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام قيس
رارة فقال أما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر
يش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالة
ن ثم قال (اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنج
ك بالإسلام) فقال يزدجرد لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء
عندى ثم استدعى بوقر من تراب وقال لقومه احملوه على أشرف هؤلاء
وقوه حتى يخرج من باب المدائن فقام عاصم بن عمر وقال أنا أشرفهم
ذ التراب فحمله وخرج إلى راحلته فركبها ولما وصل إلى سعد قال له
فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم ثم إن رستم خرج بجيشه الهائل
ألف أو يزيدون من ساباط فلما مر على كوثى (قرية بين المدائن وبابل)
رجل من العرب فقال له رستم ما جاء بكم وماذا تطلبون منا قال جئنا
ب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن
قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقى أنجزه الله وعده فنحن
يقين قال رستم قد وضعنا إذا فى أيديكم قال العربى أعمالكم وضعتكم
لمكم الله بها فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجادل الإنس وإنما
ل القدر فغضب منه رستم وقتله فلما مر بجيشه على البرس (قرية بين
وفة والحلة) غصبوا أبناء أهله وأموالهم وشربوا الخمور ووقعوا على
اء فشكى أهل البرس إلى رستم فقال لقومه والله لقد صدق العربى والله
سلمنا إلا أعمالنا والله إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة
كم ثم سار حتى نزل الحيرة فعنف عظماءها على الاستسلام للمسلمين فقال
ن بقيلة لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن
سنا (ولما) علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم أرسل عمرو ابن معد

الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى يستكشفان خبر الجيش مع
رجال فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشراً على الطفوف
وا إلا طليحة فإنه ظل سائرا حتى دخل جيش العدو وعلم ما عليه
إلى سعد وأخبره خبره .

وقعة القادسية

م إن رستم سار بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق (جسر
ية) أمام عسكر المسلمين يحول بينهم وبينهم النهر ومع الفرس ثلاثة
ن فيلا ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلا نكلمه فأرسل
بعى بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب وبسط النمارق
سائد منسوجة بالذهب فأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه
د بعصب فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين
وجعل الحبل فيهما ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها فأشاروا عليه بوضع
ه فقال لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم وإنما دعوتمونى ثم أقبل يتوكأ على
ويقارب خطوه حتى أفسد ما مر عليه من البسط ثم دنا من رستم
س على الأرض وركز رمحه على البساط وقال إنا لا نقعد على زينتكم
له رستم ما جاء بكم قال (الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة
إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل
لام فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه
ناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر . فقال رستم
منا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه فقال نعم
مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نمكن الأعداء أكثر من
فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث
لأجل : الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك

إن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة فى اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا وأنا
فيل بذلك عن أصحابى) فقال رستم أسيدهم أنت قال (ولكن المسلمين
لجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم) ثم انصرف فخلا
ستم بأصحابه وقال رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل (فأروه الاستخفاف
شأنه فقال رستم ويلكم إنما أنظر إلى الرأى والكلام والسيرة والعرب
ستخف اللباس وتصون الأحساب فلما كان اليوم الثانى من نزوله أرسل
لى سعد أن ابعث إلينا هذا الرجل فأرسل إليه حذيفه بن محصن الغطفانى
لم يختلف عن ربعى فى العمل والإجابة ولا غرابة فهما مستقيان من إناء
واحد وهو دين الإسلام فقال له رستم ما قعد بالأول عنا قال (أميرنا
عدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى) فقال رستم والمواعدة إلى متى
ال إلى ثلاث من أمس وفى اليوم الثالث أرسل إلى سعد أن أبعث إلينا
رجلا فأرسل إليه المغيرة بن شعبة فتوجه إليه ولما كان بحضرته جلس معه
على سريره فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه فقال لهم (قد كانت تبلغنا عنكم
لأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً
إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان
حسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا
لأمر لا يستقيم فيكم وإنى لم آتيكم ولكنكم دعوتمونى اليوم علمت أنكم
مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول) فقالت
لسوقة صدق والله العربى وقالت الدهاقين (زعماء الفلاحين) لقد رمى
بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر
هذه الأمة ثم تكلم رستم بكلام عظم فيه شأن الفرس وصغر فيه شأن
العرب وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش فقال المغيرة
(أما الذى وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره
والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم

لا على ما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال وإن الله بعث
ا رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم وختم كلامه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية
المنابذة ثم رجع فخلا رستم بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم ألم يأتكم
ولان فخبراكم واستخرجاكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً
حداً ولزموا أمراً واحداً هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين
له لئن بلغ من أدبهم وصونهم لسرهم أن لايختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا
م لئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا ولم تنتفع الفرس بهذه
عوة بل تمادوا فى غيهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا فأجمع القائدان على
اجزة وأقرا على أن يعبر الفرس نهر العتيق فعبروا وعبأ رستم جيشه
رمرم وجعل بينه وبين يزدجرد بريداً يخبره بالحوادث فى أوقاتها وعبأ
ر المسلمين جيوشه وكانت صفوفهم مع حائط قديس والخندق فكان
يشان بين العتيق والخندق وأرسل سعد رجالا من ذوى المنطق الفصيح
ضون على الجهاد وأمر القراء بقراءة سورة الأنفال فقرئت ولما أتموا
اءتها شهت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة بقراءتها ثم قال لهم
د الزموا مصافكم فإذا صليت الظهر فإنى مكبر فإذا كبرت الأولى فكبروا
ستعدوا وإذا كبرت الثانيــة فكبروا والبسوا عدتكم وإذا كبرت الثالثة
كبروا ونشطوا الناس فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم
ولوا (لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم) وكان ذلك فى المحرم من
نة الرابعة عشرة فلما كبر سعد تكبيرته الأخيرة خرج أهل النجدات
شبوا القتال ثم حمل الجيشان ولم يكن أشد على المسلمين من الفيلة وكادت
له أن تهلك لنفار خيلها فأرسل سعد إلى بن أسد أن دافعوا عن بجيله
م رئيسهم طليحة بن خويلد بما عهد إليه خير قيام فلما رأى الأشعث
ى قيس مايفعله بنو أسد قال لقومه يابنى كندة لله در بنى أسد أى فرى
رون وأى هذ يهذون أغنى كل قوم مايليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم

د ما أحسنتم أســـوة قومكم من العرب ثم نهد فنهدوا معه وأزالوا من
تهم ووجه الفرس قوتهم إلى بنى أسد لما رأوا من شدتهم على الفيلة
رت رحى الحرب على بنى أسد والفيلة تضربهم كثيراً فأرسل سعد إلى
م بن عمرو زعيم بنى تميم أن ينظر حيلة للفيلة فنادى رماة قومه وقال لهم
ا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال لآخرين استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها
رضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر والبطان حزام القتب)
وا فعوت الفيلة وقتل أصحابها فنفس عن أسد بعد أن قتل منهم خاصة
ذه الموقعة نحو خمسمائة ولم يزل القتال نارا تلظى إلى أن غربت الشمس
صل الجيشان وهذا هو اليوم الأول من أيام القادسية ويسمى يوم أرماث
مى ليلته ليلة الهدأة لأنه لم يحصل فيها قتال فلما أصبحوا وكل سعد
رحى من يداويهم وبالقتلى من يدفنهم وعبى الجيش كما كان بالأمس وبينما
صطفون إذ قدم على المسلمين مدد من الشام بعثه بأمر عمر أبو عبيدة
ن بن الجراح وعليه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الملقب بالمرقال (لقبه
ه على بن أبى طالب يوم صفين لأنه أعطاه الراية فصار يرقل بها أى
ع) وكان على مقدمته القعقاع بن عمرو فوصل أولا لأنه تعجل فقدم
حة اليوم الثانى من أيام القادسية فقويت به قلوب المسلمين ولم يلبث حتى
ج يطلب البراز فبرز إليه ذو الحاجب صاحب وقعة الجسر فعرفه
اع ونادى يالثارات أبى عبيد وسليط وأصحاب الجسر ثم تضاربا فقتل
لحاجب وأفرح قتله المسلمون بقدر ما أحزن المشركين ثم حمى القتال
هذا اليوم شعر المسلمون بالظفر لأن الفيلة كانت تكسرت توابيتها
غل الفرس بإصلاحها وحملى بنو عم القعقاع عشرة عشرة على إبل قد
وها وهى مجللة مبرقعة وأطافت بها خيولهم تحميهم وأمرهم القعقاع أن
وها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة فلقيت منها خيل الفرس أعظم
قت خيل المسلمين بالأمس وأظهر القعقاع فى هذا اليوم شجاعة عظمى

ستمر القتال إلى نصف الليـــل فانفصل الجيشان ويسمى هذا اليوم يوم
واث وهو اليوم الثانى من أيام القادسية ونسمى ليلته ليلة السواد ثم
سبحوا هم اليـوم الثالث وهو يوم عماس على مصافهم وبين الصفين من
رحى المسلمين وقتلاهم ألفان فنقلهم إخوانهم الجريح للمداواة والقتيل
فن وكان النساء هى اللاتى يداوين الجرحى أما قتلى المشركين الذين يزيدون
ى عشرة آلاف فلم يعتن قومهم بنقلهم وفى هذا اليوم أقبل هاشم المرقال
بقية جيشه وقد احترس الفرس فى هذا اليوم على الفيلة فجعلوا وراءها
جالا يحمونها لئلا تقطع وضنها ولـكن خيل المسلمين لم تنفر منها لأن الفيل
ا كان وحده كان أوحش وإذا أحاط به الرجال كان آنس ولأن الخيل
منا تعودت رؤيتها ثم ابتدأ القتال وحمى وطيسه فانتدب سعد القعقاع ومعه
خر لقتل الفيل الأبيض وهو كبير الفيلة وانتدب آخرين لقتل الفيل
جرب فذهب القعقاع ورفيقه وأشرع كل منهما رمحه فوضعه فى عين الفيل
قع لجنبه ثم قتلا ساسته وذهب الآخران فطعن أحدهما الفيل فى عينه
عى (تساند إلى ماوراءه) ثم استوى فضربه الثانى فأبان مشفره فولى الفيل
يلوى على شىء حتى رمى نفسه فى العتيق وتبعه الفيلة فخرجت صفوف
عاجم وعبرت العتيق وظل القتال مستمراً حتى جاء المساء فانفصل الجيشان
لا ثم أمر سعد بمعاودة القتال متى أعلن بشعار القتال وهو (الله أكبر)
جلتهم الفرس عن انتظار تـكبير سعد فحمل القعقاع ولم ينتظر فقال سعد
هم اغفر له وانصره فقد أذنت له وإن لم يستأذن لأن المسلمين قد جروا
نج العصيان فى وقعة أحد فى عهد رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ف سعد أن يعاقبوا فأذن فى القتال وإن لم يستأذنوه ثم حمل بنو أسد
ل سعد اللهم اغفر لهم وانصرهم فقد أذنت لهم وهكذا كان يقول رضى الله
ه كلما حمل قوم قبل إعلانه التـكبير فلما صلى العشاء كبر فحمل المسلمون
هم وكانت ليلة ليلاء صوت الحديد فيها وكان كصوت القيون وترك

لمون الكلام وإنما كانوا يهرون هريراً ولذلك سميت هذه الليلة ليلة الهرير
ى فيها العرب والفرس مالم يروا مثله قبلها فالمسلمون يحامون عن دينهم
رس يحامون عن دولتهم ولكن أين من يحارب عن الدنيا ممن يحارب
ون كلمة الله هى العليا ؟ واستمر القتال إلى الصباح فقال القعقاع إن
رة تكون لمن صبر ساعة فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر فانضم
جماعة من الرؤساء واستمروا يقاتلون حتى قام قائم الظهيرة فابتدأ الفرس
بهقر وكان أول من زال الفيرزان والهمزان فتأخرا عن مواقفهما ثم
هلال بن علفة أحد فرسان المسلمين فقتل رستم فلما رأى ذلك الفرس
أوا بالإنهزام فقام الجالينوس على الردم وأمر الجيش بالعبور فعبر من
نهم فتبعهم زهرة بن الحيوية وأدرك الجالينوس وهو يجمع المنهزمين
. وأخذ ضرار بن الخطاب الفهرى الراية العظمى لفارس وهى (درفش
ن) ويسمى هذا اليوم يوم القادسية وبعد تمام الهزيمة أمر سعد بجمع
سلاب والغنائم وكانت شيئاً كثيراً فقسمها كما أمر الله سبحانه وتعالى
جنوده بهذا النصر المبين وبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر
الخطاب وكان رضى الله عنه يخرج كل يوم من المدينة يتنسم الأخبار
يرده حر الظهيرة فلما جاء البشير لاقاه عمر وهو يسير سيراً حثيثاً فسأله
من أين فأخبره الرجل أنه آت من قبل سعد فقال ياعبد الله حدثنى قال
الله المشركين وعمر يخطب وراءه والرجل لايعرفه حتى دخل المدينة
الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتنى رحمك الله
عمر لابأس عليك ياأخى .

وهذه الموقعة كانت أعظم وقعات المسلمين مع فارس قتل فيها مشاهير
س وكبار قوادهم وقتل من الجيش كثير غرقاً وقتلا وقاتل فيها أغاب
اء العرب لأن عمر لم يترك أحداً من ذوى النجدات يتأخر عنها وكان

ن لايذكرون مابعدها من الوقائع وأقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر
ر حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع
شيف يحوطهم وعهـــد إليه أن يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون
فى عيالاتهم ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال وكان فل
ين لحق ببابل وفيهم بقايا الرؤساء مصممين على المدافعة .

فتح البرس

ا وصلت مقدمة المسلمين برس قابلهم فيها بعض عساكر الفرس
ثم انهزموا ولما أدركهم سعد أخبروه الخبر فسر واستمر سائرا
صل بابل .

فتح بابل

هناك عبر الفرات وقاتل من تجمع ببابل فلم يلبث الفرس إلا ساعة
ر وانهزموا مدحورين فى أسرع من لفت الرداء وناهيك بقتال من
لبه رعباً وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصرت
ب) وهرب الفيرزان إلى نهاوند وهرب الهرمزان إلى الأهواز (إقليم
ب الغربى من بلاد فارس بين البصرة وإقليم فارس وهى تسع كور
تها السوس ومن مدنها تستر) وقصد بقية المنهزمين المدائن (مدينة
جنوبى بغداد على الدجلة وسميت المدائن لكبرها وهى غربية وشرقية
ذه إيوان كسرى وهى قاعدة الملك) وتبع زهرة المنهزمين فلحقهم بين
وكوثى فطردهم وقتل منهم جمعاً عظيما .

فتح كوثى

م سار حتى وصل كوثى فخرج إليه أميرها مقاتلا فقتل وانهزم جيشه
ر زهرة هناك سعداً .

فتح ساباط

وبعد أن وصل سعد سار زهرة حتى ورد ساباط فصالحه أهلها على
الجزية وانتظر سعداً فلما جاء سار الجيش كله قاصداً بهرسير وهى المدينة
الغربية فرأى المسلمون إيو أن كسرى أمامهم وتذكروا وعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؛ روى مسلم عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال (عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى
و آل كسرى) فقويت قلوبهم وعظمت همتهم وهؤلاء جديرون بنصر الله
لأنهم على يقين من دينهم فكلما سنحت لهم فرصة تقربهم إلى الله بادروا
إليها ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ ونادى ضرار بن الخطاب :
الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا وما وعد الله وصدق رسوله وكبر وكبر
معه المسلمون وحاصر سعد المدينة فى ذى الحجة من السنة الرابعة عشرة
وأرسل الخيل لفتح القرى المجاورة واستشار سعد عمر فى أسرى الفلاحين
فجمع عمر أصحاب شوراه وخطبهم فقال (إنه من يعمل بالهوى والمعصية
يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم
السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه وذلك
أن الله عز وجل يقول ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾
وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على
عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر ، وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم
وجلا ، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً ولم يجل ، وفيمن استسلم) فأجمعوا على
الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه إلا خيراً وأن من ادعى فصدق أو وفى
فمنزلتهم وإن كذب نبذ إليهم أو أعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا
إليهم فإذا شاؤا دعوهم وكانوا لهم ذمة وإن شاءوا تموا على منعهم من
أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال وأن يخيروا من أقام واستسلم بين الجزاء

لاء فكتب عمر إلى سعد بما أقر عليه علماء المسلمين ورجال شوراهم
سعد عن الفلاحين وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية
الذمة فتراجعوا ولم يبق غربى دجلة سوادى إلا دخل فى ذمة المسلمين
يط بملكهم ؛ كيف لا وقد رأوا قوما أساس دينهم المساواة فأميرهم
غر الرعية أمام الحق . لا كبر . لا ظلم ، لا فساد فى الأرض ، خفت
وطأة الكبرياء والعبودية التى كانوا يسامونها فصاروا عباد الله وحده
) اشتد الحصار على المدائن الغربية ترك يزدجرد المدينة وعبر إلى
ة الشرقية فعزم سعد على العبور ولكن الفرس كانوا أجمعوا المعابر
فارسى على مخاضة تصلح للعبور فقال سعد لرؤساء الجيش إنى قدعزمت
طع هذا البحر فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فانتدب
من يعدى أولا ويحمى الفراض حتى يعبر المسلمون فأجابه لذلك
أس والنجدة عاصم بن عمرو سيد بنى تميم فعبر فى ستين فارساً من قومه
آهم الأعاجم تصدوهم فشرعوا نحوهم الرماح فلم يصبر الفرس ولما رأى
أن الفراض محمية أمر المسلمين بالعبور فعبروا وهم يقولون نستعين
ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى
وكان يساير سعداً سلمان الفارسى فعامت بهم خيولهم وسعد يقول
ا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن
إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان :
لام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر أما والذى نفس سلمان بيده
جن منه أفواجا كما دخلوا فأبر الله قسمه وخرجوا ولم يفقد أحد منهم
، ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلا زال عن ظهر فرسه فثنى القعقاع
فرسه إليه فأخذه بيده وأخرجه سالما فانظر رعاك الله كيف لم تشغل
اع نفسه وهو فى أحرج المواقف بل آثر رفيقه على نفسه وبذلك تتجلى
ظاهر الإسلام والإخوة الإسلامية فى أعلى درجاتها وكان هذا اليوم

سمى يوم الجراثيم لا يعي أحد إلا تبينت له جرثومة يريح عليها (ولما)
أى الفرس عبور المسلمين سقط فى أيديهم ورأوا أن لا قبل لهم بالمدافعة
رك يزدجرد المدينة وهرب قاصداً حلوان (بلدة بينها وبين بغداد أربعة
راحل وهى منتهى العراق من جهة الشرق وتعد من كور الجبل وهى مبنية
لى شاطىء نهر متفرع من دجلة وتقابل طبرستان) وكان قد قدم إليها أهله
ولده فدخل المسلمون المدينة من غير معارض ونزل سعد القصر الأبيض
اتخذه مصلى وقرأ قوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام
ريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ وابتدأ
جمع الغنائم والأسلاب وكانت شيئاً عظيما وأرسل وراء الهاربين بالأموال
والذخائر فأتى بهم ولم يفلت منهم أحد وكان أول من دخل المدائن من
جيوش المسلمين كتيبة القعقاع بن عمرو وتسمى الخرساء وبعدها كتيبة
اصم بن عمرو وتسمى كتيبة الأهوال ثم قسم سعد الغنيمة فأصاب الفارس
ثنا عشر ألفاً وقسم المنازل بين الناس وأحضر العيالات من العتيق فأنزلهم
الدور وصارت المدائن قاعدة لأعمال العراق يقيم بها أميره وكانت أول
جمعة جمعت بالمدائن فى صفر من السنة السادسة عشرة وأرسل سعد الأخماس
لى عمر ومعها كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وكان فتح المدائن فى
واخر السنة الخامسة عشر ولما قدم البشير على عمر بذخائر كسرى قال إن
قوماً أدوا هذا لذوو أمانة فقال له على (إنك عففت فعفت الرعية) ومما
بعث به إليه بساط لكسرى يسمى القطف وكان ستين ذراعا فى ستين
فاستشار عمر أصحابه فيما يفعل به فكلهم أشار عليه بأخذه لنفسه إلا عليا فإنه
قال له يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله
على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له قال صدقتني ونصحتني
فقسمه بينهم وولى عمر سعد بن أبى وقاص صلاة ما غلب عليه وحربه وولى
على الخراج النعمان بن مقرن على ماسقت دجلة ، وسويدا أخاه على ماسقى

ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزنى ثم
ما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف .

فتح جلولاء

انهزم الفرس ورحلوا عن المدائن اتجهوا شمالا حتى وصلوا جلولاء
علة (بلدة على شاطىء دجلة شمال المدائن وهى من أعمال بغداد
بهم الطرق ، أهل أذربيجان يريدون الشمال وأهل أقليم فارس
لجنوب فقالوا إن افترقنا لم نجتمع فهلم فلنحتشد لحرب العرب هنا
لنا كان ما أردنا وإن كانت علينا كنا شفينا أنفسنا وولوا أمرهم
رازى وحفروا حولهم خندقا أحاطوه بحسك الحديد إلا طرقهم
سعدا فسرح إليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة فى إثنى عشرة ألفا
لى مقدمته القعقاع حسبما أمر عمر فساروا فى صفر من السنة
عشرة حتى أتوا جلولاء فانحصر الفرس فى خنادقهم ثمانين يوما
عليهم المسلمون وبعد هذه المدة انكشف لهم طريق من الخندق
كون أعدوه لسير خيلهم فهجموا منه وقاتلوهم قتالا شديدا شبيها
ة الهرير إلا أنه كان أسرع فقتل من المشركين مقتلة عظيمة وانتهى
يمتهم إلى خانقين فتبعهم إليها القعقاع والمسلمين وهزمهم منها . أما
فإنه لما بلغه امتلاك جلولاء ترك حلوان وتوجه إلى الرى فسار
لى حلوان وامتلكها ثم أرسل سعد إلى عمر يخبره بهزيمة الفرس
فى اتباعهم إلى داخل بلادهم فلم يرض عمر وقال وددت أن بين
لجبل سداً حصينا من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على
خماس ولما قدمت عليه الأخماس قال والله لا يجنها سقف حتى
ات عبدالرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانها فى المسجد
الصبح جاء عمر فنظر إلى مافى الأخماس من جوهر ودر فبكى

فقال عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين فو الله إن هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكيني وبالله ما أعطي الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد وهو ما بين حلوان شرقا إلى القادسية غربا وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة من السنة السادسة عشرة وفى جمادى الأولى من السنة السادسة عشرة بلغ سعداً أن الإنطاق ملك الموصل سار منها إلى تكريت (بلد على شاطىء دجلة الشرقى شمال بغداد) ومعه جمع كثير من الروم والعرب فسير إليه عبد الله بن المعتم حسبما أمر عمر فسار عبد الله إلى تكريت وحصرها أربعين يوما وفى نهايتها أرسل إلى العرب الذين مع الإنطاق يستميلهم إليه ويدعوهم لنصرته وخذلان الفرس والأروام الذين ليسوا من جنسهم فأجابوه لذلك وانهم معه فأرسل إليهم إن كنتم صادقين فأسلموا فهداهم الله للدين القويم وأسلموا فأرسل إليهم إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ثم حمل عبد الله وكبر فكبر العرب فظن المشركون أن المسلمين جاؤهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا أبواب الخندق فأخذتهم سيوف المسلمين فلم يستطيعوا مدافعة وهرب منهم من أطاق الهرب ودخل المسلمون المدينة .

فتح نينوى والموصل

ثم أرسل عبد الله سرية لفتح نينوى والموصل (بلدان على دجلة بعد الدرجة السادسة والثلاثين من خط العرض الشمالى الأولى على الشاطىء الشرقى والأخرى على الغربى) وأرسل فى هذه السرية جمعا من العرب الذين كانوا مع الفرس فسبقوا إلى البلدين أخبروا بفتح وظفر على الفرس ففتحت لهم الأبواب ولم يلبث المسلمون أن جاؤا من غير معارض فطلب أهلها الأمان على الجزية فأمنوا وصاروا ذمة ثم قسم عبد الله الغنائم وأرسل الخمس إلى عمر .

فتح ماسبذان

بلغ سعداً أن جمعاً عظيما من الفرس تجمعوا بسهل ماسبذان فأرسل
رار بن الخطاب الفهرى فشتت شملهم وقام بماسبذان مرابطاً لأنهـا
ثغراً تؤتى المدائن من قبلها .

فتح هيت

أرسل سعد عمر بن مالك بجيش إلى هيت (ناحية من نواحى بغداد)
فجاء وقد خندق حولها المشركون لحاصرها وفى أثنـاء الحصار فتح
اء (بلد على شاطىء الفرات شمالى الأنبار بينها وبين الرقة وهذه
ديار ربيعة التى مركزها نصيبين) ولما رأى أهل هيت أن لا قبل لهم
أجابوا إلى دفع الجزية وصاروا ذمة .

تخطيط الـكوفة

كثت المدائن قاعدة أعمال العراق منذ فتحت إلى السنة السابعة عشرة
عمر بن الخطاب فى وجوه العرب الذين نزلوا بهـا تغيراً فى ألوانهم
فى أبدانهم فـكتب إلى سعد أن أبعث سلمان الفارسى وحذيفة
يان رائدين فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر
ـر فأرسلهما سعد كل واحد من جهة فاجتمعا بالـكوفة ـ ومعناها
الحمراء المستديرة أو كل رملة تخالطها حصباء ـ فاستحسناها وصليا بها
الله أن يجعلها منزل الثبات ثم رجعا إلى سعد وأخبراه فأرسل
قعقاع وعبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جيوشهما ويحضرا ثم سار
دائن حتى وصل أرض الـكوفة فعسكر بها فى المحرم من السنة السابعة
ثم استشاروا عمر فى البناء بالقصب فأذن لهم ولما حصل فيها الحريق

عقب تخطيطها أستأذنوه فى البناء باللبن فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة . وكان مخطط الكوفة أبو هياج ابن مالك فجعل النهج (الشارع الأعظم) أربعين ذراعا وما يليه ثلاثين وما بين ذلك عشرين والأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شىء وجعل القطائع ستين ذراعا وأول شىء أسس فيها المسجد وبنى بحياله داراً لسعد وهى قصر الكوفة والمدينة مبنية على الشاطىء الغربى لنهر الفرات بينها وبينه نحو نصف فرسخ كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر والمسافة بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً أى عرض الجزيرة من هناك ، وبعد أن تم تخطيطها نقل إليها العرب الذين بالمدائن بعد أن خيرهم فمن شاء الإقامة بالمدائن تركه ومن شاء الرجوع إلى الكوفة رجع وصارت قاعدة أعمال العراق من ذلك الحين . وفى هذه السنة على ما عليه أكثر المؤرخين أسست مدينـــــة البصرة وهى قريبة من خليج فارس على مجتمع الدجلة والفرات أسسها عتبة بن غزوان بأمر عمر وصارت قاعدة ثانيـة للعراق لأن عمر قسمه قسمين أعلى وقاعدته الكوفة وواليها سعد وأسفل وقاعدته البصرة وواليها عتبة وقد كان يتبع الكوفة من ولايات الفرس بعد افتتاحها البـاب وأذربيجان وهمذان والرى وأصبهان وماه والموصل وقرقيسياء وكلها فى الجهة الشمالية وكان يتبع البصرة خراسان وسجستان ومكران وكرمان وفارس والأهواز .

غزو الفرس من البحرين

كان المسلمون فى العصر الأول يتنافسون فيما يقربهم إلى الله فلما رأى العلاء بن الحضرمى أمير البحرين نكاية سعد فى الفرس أراد أن يؤثر فيهم أثراً مثله فانتدب أصحابه لذلك فأجابوه فقسمهم ثلاث فرق على إحداها الجارود بن المعلى العبدى وعلى الثانيـة سوار بن همام وعلى الثالثة خليد

نذر بن ساوى وهو الرئيس العام وأجازهم الخليج الفارسى لفتح تلك
ت ولكن مما يؤسف له أن هذا العمل كان بغير استشارة أمير المؤمنين
وصاً أن الغزو من البحر كان مما لا يراه عمر بن الخطاب وكثيراً ما كان
عنه خوف الغرق فعبر جيش العلاء البحر وسار حتى أتى اصطخر
ط أقليم فارس وهى المدينة العظمى فيه) فخرج إليهم جمع عظيم من
س وحالوا بينهم وبين مراكبهم فلما علم بذلك خليد خطب أصحابه فقال
بعد فان القوم لم يدعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لهم السفن والأرض لمن
فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) ثم عبأ
ه وحمل فقتل من المسلمين الجارود وسوار وقتل من الفرس كثير .
رأى المسلمون أن مكثهم قليلون وسط بلاد الفرس تغرير بهم أرادوا
وع إلى البصرة من طريق البر لأنه لا سبيل لهم إلى السفن فأخذ الفرس
م الطريق فعسكروا وامتنعوا لما بلغ عمر فعلة العلاء وحصر المسلمين
ى لعتبة بن غزوان أمير البصرة أن يجهز جيشاً كثيفا لتخليص
ورين قبل أن يهلكوا فجهز لهم جيشاً فيه إثنا عشر ألف مقاتل فساروا
التقوا بالمسلمين إخوانهم من شر عمل لم يستشر فيه أمير المؤمنين وهذه
غزوة شرفت بها نابتة البصرة وكان عقاب عمر للعلاء أن صرفه عن
ة البحرين وسيره إلى الكوفة ليكون تحت إمرة سعد .

فتح الأهواز

قدمنا أن الهرمزان لما انهزم من القادسية قصد الأهواز وملك
رستان (من كور الأهواز وهى الآن اسم لأقليم فى بلاد الفرس قاعدته
وكان يغير على أهل ميسان (كورة بين البصرة وواسط) يأتى إليها
ناذر ونهر تيرى (من ثغور الأهواز فارسل عتبة بن غزوان إلى عمر
بخبر الهرمزان فأرسل عمر إلى سعد أمير الكوفة أن يمد عتبة فأمده

يم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان حتى يكونا
ن البصرة وثغور الأهواز وأرسل عتبة بن سلمى بن القين وحرملة بن مريط
لا على ثغور البصرة بميسان ودعوا من يقيم هنالك من العرب ليكونوا
ع المسلمين على قتال الفرس فأجابهم بنو العم وكانوا ينزلون قبل الإسلام
وزستان فاتعد الأميران مع رئيسين من هؤلاء العرب على أن يثور أحدهما
اذر والآخر بنهر تيرى فى يوم عيناه لهما فلما كان هذا اليوم أنشب جيشا
صرة والكوفة القتال مع الهرمزان وبينما هو يقاتل إذ جاءه الخبر بأخذ
اذر ونهر تيرى فانكسرت نفسه وانهزم جيشه فاتبعهم المسلمون إلى شاطىء
جيل (شعب من دجلة بالأهواز) وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز
طلب الصلح فصولح على مادون مناذر ونهر تيرى المأخوذين عنوة وأقيمت
ا حامية وكان فتح الأهواز فى السنة السابعة عشرة ورجع باقى المسلمين
البصرة ومعهم بنو العم الذين هدوا للإسلام فأرسل عتبة وفداً منهم
عمر وفيهم الأحنف بن قيس فلما وصلوا إليه طلب من كل منهم أن يرفع
يه حاجة فطلب كل واحد منهم خاصة نفسه إلا الأحنف بن قيس فإنه
(يا أمير المؤمنين لقد يعزب عنك ما يحق لنا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح
امة وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بآذانهم)
ذكر حال البصرة وحال الكوفة وبين ما امتاز به الكوفيون عن إخوانهم
صريين وقال فى آخر كلامه (وقد وسع الله علينا وزادنا فى أرضنا
سع علينا أمير المؤمنين وزدنا طبقة تطوف علينا ونعيش بها) فلما سمع
وله أحسن إليهم وأقطعهم مما كان لأهل كسرى ثم قال إن هذا
ى سيد قومه وكتب إلى عتبة أمير البصرة أن يسمع منه ويرجع إلى رأيه .

انتقاض الهرمزان

(ثم) إن الهرمزان انتقض بعد الصلح لخلاف حصل بينه وبين حامية
اذر ونهر تيرى فى تحديد التخوم واستعان بالأكراد فكتب عتبة إلى عمر

بذلك فأجابه بأن يقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى
ه على القتال وعلى ماغلب عليه فسار وسار معه جيش البصرة حتى أتى
سوق الأهواز وعبره وقاتل الهرمزان وهزمه وبعث فى أثره جز
اوية ففتح سوق الأهواز وأعجزه الهرمزان فمال إلى مدينة سوق
دة كورة بالأهواز) وفتحها ودعا من هرب للرجوع ودفع الجزية
بوا وأقام هناك والياً فعمر البلاد وشق الأنهار وأحيا الموات (ثم) إن
زان راسل حرقوصاً فى طلب الصلح فأجابه بعد استئذان عمر وأقام
زان والمسلمون يمنعونه من الأكراد ونزل حرقوص جبل الأهواز
ذلك على المسلمين وأهل الذمة فكتب إليه عمر أن أنزل السهل وألا تشق
سلم ولا معاهد وأن لاتدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب
تك وفى هذا الوقت ولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة بعد وفاة أميرها
بن غزوان رضى الله عنه ثم عزله وولى عليها أبو موسى الأشعرى
ه بتسعة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أنس
الك وعمران بن حصين وهشام بن عامر (وفى) عهد أبى موسى كان
رد ملك الفرس يمرو يدعو الفرس للأخذ بناصره واسترداد ملكهم
كوا وكاتبوا أهل الأهواز الذين صالح عليهم الهرمزان فبلغ ذلك ولاة
از فأرسلوا إلى عمر بالخبر فكتب إلى سعد أمير الكوفة أن يسير
لأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وأرسل إلى أبى موسى
البصرة أن يسير إليها جنداً كثيفاً مع معد بن عدى وأن يكون قائد
ين أبو سبرة بن أبى برهم فسار النعمان بن مقرن مع جيشه حتى وصل
مز (بلد بخوزستان) والهرمزان بها عاص فقاتله النعمان حتى هزمه
بتستر (من مدن الأهواز قريبة من السوس) فملك النعمان رامهرمز .

فتح تستر

ولما وصل جيش البصرة إلى الأهواز نزلو سوقها وكانوا يريدون
هرمز فبلغهم خبر الواقعة وأن الهرمزان لحق بتستر فقصدها وكذلك
مان وولاة الأهواز ونزل الجميع عليها والفرس يخندقون حولها فأقام
سلمون على حصارها وممن أبلى فيه بلاء حسناً البراء بن مالك ومجزأة
ثور وعدة من أهل البصرة والكوفة ولما اشتد الحصار على أهل تستر
رج منهم رجل فاستأمن المسلمين على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه
دينة فأمنوه فدلهم على مدخل الماء فانتدب قائد الجيش من يسير مع الرجل
جابه عدة من أهل البصرة والكوفة ودخلوا من هذا السرب والمسلمون
ظرون تكبيرهم فلما وصلوا المدينة كبروا فكبر المسلمون وفتحت الأبواب
ن قاتل قتل وتحصن الهرمزان بقلعة المدينة فأطافوا به فطلب منهم النزول
ى حكم عمر فقبلوا ذلك منه وقتل في هـــذا الحصار البراء بن مالك
مجزأة بن ثور .

فتح السوس

ثم سار الجيش حتى بلغ السوس (قاعدة كورة بالأهواز) وفتحها
لحا ثم سير الأمير سرية لفتح جند نيسابور فصالح أهلها وبعد تمام الفتح
ر أبو سبرة إلى عمر وفداً فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ومعهم
رمزان .

وفود الهرمزان

فلما قدموا المدينة ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج الذي فيه الذهب
اجه وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ثم توجهوا إلى

فى المسجد فوجدوه نائماً والدرة فى يده فقال الهرمزان أين عمر فقالوا
قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب قال
أن يكون نبياً قالوا بل يعمل بعمل الأنبياء فاستيقظ عمر وأخبر
مزان فنظر إليه وقال (الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشباهه)
بنزع ما عليه وأن يلبس ثوباً صفيقاً ثم قال له عمر كيف رأيت
الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد
بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر (إنما
ونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا) ثم قال عمر ما حجتك وما عذرك
قاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك فقال
ف ذلك واستسق ماء فأتى به فى قدح غليظ فقال لو مت عطشاً لم
ع أن أشرب فى مثل هذا فأتى به فى إناء يرضاه فقال أخاف أن أقتل
ن أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر
ا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال لا حاجة لى فى الماء
أردت أن أستأمن به فقال له عمر إنى قاتلك قال قد أمنتنى فقال عمر
ت فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر يا أنس
ؤمن قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور والله لتأتين بمخرج أو
بنك قال قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى ولا بأس عليك حتى تشربه
من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع
سلم فأسلم الهرمزان وصار من التابعين بإحسان ففرض له عمر العطاء
لفين وكان يترجم بينهما المغيرة بن شعبة ثم قال عمر للوفد لعل
ين يؤذون أهل الذمة فلذلك ينتقضون قالوا ما نعلم إلا وفاء قال
ف هـــذا ؟ فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن
سياح فى البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا مادام
هم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما الآخر وقد

ت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم وأن ملكهم هو
ى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح فى بلادهم
يل ملكهم فهناك ينقطع رجاؤهم فقال عمر صدقتنى والله وصمم على
ع مشورته .

وقعـــة نهاوند

أما ملك الفرس فإنه لما اجتمعت له الجموع بنهاوند (من بلاد الجبل
وبى همذان) سار إليهم من مرو وقام بمساعدته الملوك بين الباب والسند
راسان وحلوان (هذه حدود المملكة الفارسية من الشمال والجنوب
شرق والغرب) فكتب سعد إلى عمر بالخبر وفى هذا الوقت اشتكى
داً جماعة من أهل الكوفة واتهموه بأنه لا يعدل فقال عمر والله لا يمنعنى
نزل بالمسلمين عن النظر فى شكواهم واستقدم سعداً فخلف على عمله
د الله بن عتبان وتوجه إلى المدينة وحقق عمر ما نسب إلى سعد بواسطة
ـ بن مسلمة الذى كان يقتص آثار من شكا من العمال فوجده بريئاً ولكن
ر كان يحب ألا يكون بين الرئيس والمرءوس بغضاً لأن ذلك يؤدى إلى
شل والخيبة فعزله وولى على الكوفة النعمان بن مقرن المزنى وكان قد
حم جند نيسابور والسوس فى جمع من أهل الكوفة فأرسل إليه عمر
د الولاية وهذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان
ى مقرن سلام عليك : فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد فإنه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم
دينة نهاوند فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله
ى معـــك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم

كفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة
ب دينار والسلام عليك (من تاريخ الطبرى) وأمره بالمسير إلى ماه
تمع عليه الجيوش هناك ثم يسير بهم إلى نهاوند وكتب إلى عبد الله
عبد الله خليفة سعد على الكوفة يأمره باستنفار الناس للتوجه إلى
ان وأرسل إلى جند الأهواز يأمرهم بالمقام به ليكونوا حائلا بين أهل
م فارس وبين المجتمعين بنهاوند فلما اجتمعت الجيوش عند النعمان أرسل
بن ثنى وعمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد يكتشفون الطريق
ماه ونهاوند فأما عمر بن ثنى فرجع من ليلته فقيل له ما أرجعك فقال لم
ن بأرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرض عالمها وأما عمرو
معد يكرب فرجع صبيحة اليوم الثانى فسئل عما رآه فقال سرنا يوماً
ة فلم نر شيئاً وأما طليحة فلم يزل سائراً حتى رأى جيش الفرس وعرفه
جع وأخبرهم أن ليس بينهم وبين نهاوند شىء يكرهونه فسار النعمان
يش وعلى مقـــدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه أخوه سويد
مقرن وحذيفة بن اليمان وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع
مسعود وجاءهم مدد من المدينة عليهم المغيرة بن شعبة فلما وصلوا نهاوند
النعمان فكبر الجند ثم حطوا الأثقال وضرب فسطاط النعمان أكابر
وفة حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية
نظلة الكاتب وجرير بن عبد الله والأشعث بن قيس وغيرهم فلم ير بناء
طاط بالعرب كهؤلاء ثم أنشب المسلمون القتال فقاتلوا يوم الأربعاء
م الخميس وفى يوم الجمعة انحجز الفرس فى خنادقهم فخاف المسلمون أن
ل عليهم الانتظار فتشاوروا فيما يفعلون ثم أقروا على أن يأمروا
قاع بإنشاب القتال فإذا قاتله الفرس أظهر الهزيمة أمامهم فإذا تبعوه
اروا بين المسلمين قاتلوهم ويقضى الله ما يشاء فأمر النعمان القعقاع أن
ب القتال ففعل فخرج الفرس من خنادقهم فأظهر القعقاع الهزيمة أمامهم

بعوه فرحين لأنهم لم يروا مثل ذلك من المسلمين قبل الآن ولم يزالوا حتى
ربوا الجيش فأمر النعمان جنده ألا يحاربوا حتى يأذن لهم وانتظر الساعة
ى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ألا يقاتل فيها إذا زالت
سمس فلما حانت حمل وكبر فتبعه المسلمون وقال إن قتلت الأمير بعدى
ذيفة وقاتل المسلمون والفرس قتالا لم يروا مثله ولا يوم القادسية وفى
اء القتال استشهد النعمان فسجاه أخوه نعيم وكتم موته عن الجند لئلا
نوا وأخذ الراية حذيفة واستمر القتال إلى آخر النهار ولما أظلم الليل
زم الفرس وعمى عليهم الطريق فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذى كانوا
يدونه فوقع فيه كثير منهم ولم يفلت إلا الشريد ونجا الفيرزان من بين
سرعى فذهب شمالا نحو همذان فتبعته فصيلة من الجيش وقتلوه بثنية
ذان وفتحوا همذان صلحاً ولما بلغ الماهين هذا الخبر بادروا إلى طلب
صلح فأجيبوا وهذا نص كتاب عهدهم عن الطبرى .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل
ه بهراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضهم لا يغيرون عن
ة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة
ى من وليهم على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن
سبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما
يلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة) شهد القعقاع
ن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن وكتب فى المحرم سنة ١٩ ثم عادت
رية وجمع المسلمون من الغنائم والأسلاب شيئا كثيراً وكان الذى يحسب
م ويكتب السائب بن الأقرع فأرسله حذيفة بالخمس والبشارة فلما قارب
دينة وجد عمر خارجا يتنسم الأخبار لأنه قدر الواقعة قبلها فبات يتململ
رأى السائب قال ما وراءك قال خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك

عظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن قال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون)
بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده : فلما رأى السائب ذلك
ل يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك
ستضعفون من المسلمين ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم
نسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر . وكان سهم الفارس بنهاوند ستة
اف وسمى المسلمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يقم للفرس بعده قائمة
ا يستحق الذكر أن المسلمين عثروا فى غنائم نهاوند على سفطين مملوءين
وهراً نفيساً من ذخائر كسرى فأرسلهما حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع
سائب فلما أوصلهما له قال ضعهما فى بيت المال والحق بجندك فركب
احلته ورجع فأرسل عمر وراءه رسولا يخب السير فى أثره حتى لحقه
لكوفة فأرجعه فلما رآه عمر قال مالى والسائب ما هو إلا أن نمت الليلة
خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتعلان ناراً يتوعدوننى
كى إن لم أقسمهما فخذهما عنى وبعهما فى أرزاق المسلمين فبيعا بسوق الكوفة
ضى الله عنك ياعمر لقد سرت بسيرة نبيك فعززت وأعززت بالإسلام
لمسلمين اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع (ثم) رجع حذيفة
يشه بعد وقعة نهاوند فائزاً منصوراً .

فتح همذان

وبينما هو راجع بلغه أن أهل همذان انتقضوا بعد الصلح فابلغ الخبر
ر فأمره أن يسير إليها نعيم بن مقرن فرجع إليها من الطريق على تعبية
ستولى على بلادها جميعاً وحاصرها هى فطلب أهلها الصلح فصولحوا على
زية ثم توجه إلى واج رود حيث تجمع الديلم وأهل أذربيجان وأهل
ى فقاتلهم نعيم قتالا شديداً حتى هزمهم وأرسل إلى عمر بالخبر فأمره
صد الرى (بلد قرب طهران فى جنوبها الشرقى) فسار حتى قدمها فخرج

ه رئيس جندها أبو الفرخان طالباً الصلح ومخالفاً لملكها فاستمد الملك
جاوره فأمدوه والتقى معهم نعيم فى سفح جبل الرى قريباً من المدينة
تلهم قتالا شديداً ولما رأى أبو الفرخان أن الأمر سيطول طلب من
م أن يعطيه فصيلة من الجيش يدخل بها المدينة من حيث لا يشعر الفرس
ر معه جماعة دخل بهم المدينة كما قال . أما نعيم فبيت القوم فقاتلوه
كنهم لما سمعوا التكبير من ورائهم انهزموا شر هزيمة وأفاء الله على
لمين فى الرى نحواً مما حازوه فى المدائن وجعل نعيم أبا الفرخان والياً
المدينة وكتب إلى عمر بالفتح فأرسل إليه أن سير أخاك سويداً إلى
مس (صقع بين خراسان وبلاد الجبل) فسيره إليها فلم يقف فى وجهه
د فأخذها سلماً وعسكر بها ثم كتب إليه أهلها فى الرجوع إلى بلادهم
فع الجزية فأجابهم وكتب لهم كتابا هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس
ن حشــوا من الأمان ، على أنفسهم ومللهم وأموالهم ، على أن يؤدوا
لجزية عن كل حالم بقدر طاقته ، وعلى أن يدلوا ، وعليهم نزل من نزل بهم
المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم
ذمة منهم بريئة ، وكتب وشهد وسار إلى جرجان (بلد شمالى بلاد فارس)
عسكر قريباً منها ، فراسله ملكها على الصلح ودفع الجزية فأجابه فخرج إليه
لك وتلقاه خارج المدينه ، ثم دخل معه وعسكر بها وجبى الخراج : وفيها
سله صاحب طبرستان (إقليم فى الشمال) فى الصلح على أن يتوادعا ويجعل
شيئاً على نصر ولا معونة على أحد فأجابه وكتب له كتاباً هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان
سبهبذ خراسان على طبرستان وجيلان من أرض العدو . إنك آمن بأمان
ه عز وجل على أن تكف بصوتك وأهل حواشى أرضك ، ولا تؤوى

، وتتق من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك
ت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك ، ولا يتطرق أرضك ، ولا
عليك إلا بإذنك ، سبيلنا عليكم بالأذان آمنة وكذلك سبيلكم ،
ون لنا بغية ، ولا تسلون لنا إلى عدو ، ولا تغلون ، فإن فعلتم فلا
نا وبينكم شهد سواد بن قطبة التميمي وهند بن عمرو المرادى وسماك
رمة الأسدى بن عبيد الله العبسى وعتيبة بن النهاس البكرى .

أرسل عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن عبيد الله بن عتبان أمير البصرة
يرة يأمره أن يسير إلى أصبهان ، وأمر أبا موسى الأشعرى أن يكون
، فسار عبد الله حتى وصل أصبهان (فى العراق العجمى) ، وعلى
الاسبيذان ، فاقتتل الفريقان قتالا شديداً إنتهى بهزيمة المشركين ،
الصلح فصولحوا ؛ ثم سار عبد الله إلى مدينة جى وهى قاعدة أصبهان
ا ثم صالحه الفاذوستان وهو أمير أصبهان عليها مشترطاً الجزية على
، وأقام على ماله ، وأن يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراه ، ومن
ب كانت لكم أرضه .

الانسياح فى بلاد العجم

ا رأى عمر رضى الله عنه أن شوكة الفرس قد ضعفت فلم يعد يخاف
لمين من انسياحهم فى بلاد الفرس صمم على اتباع مشورة الأحنف
، فأرسل إلى أبى موسى الأشعرى الذى قدمنا أن عمر ولاه البصرة
يرة بن شعبة وأمره أن يسير منها غير بعيد ويقيم حتى يأتيه أمره ،
إليه مع سهيل بن عدى بالوية الأمراء الذين يسيحون فى بلاد
جم : لواء للأحنف بن قيس ووجهه (خراسان) ولواء لمجاشع بن
السلمى ووجهته (أزدشير خره وسابور) ولواء لعثمان بن أبى العاص

الثقفي ووجهته (اصطخر) ولواء لسارية بن زنيم الكتاني ووجهته (فساودرابجرد ولواء لسهيل بن عدى ووجهته (كرمان) ولواء لعاصم ابن عمرو ووجهه (سجستان) ولواء للحكم بن عمير التغلبي ووجهته (مكران) وكان مبدأ الانسياح فى مبدأ السنة الثامنة عشر .

فتح أذربيجان

فسار بكير بن عبد الله إلى أذربيجان (ولاية فى الغرب من بحر الخزر وقاعدتها الآن تبريز) وكتب إلى نعيم بن مقرن فاتح الرى أن يمده بسماك ابن خرشة فلما طلع بكير بجبال جرميدان قابله المنهزمون من واج روذ وعليهم اسفنديار أخو رستم قتيل القادسية فقاتلوا بكيرا ولكنهم انهزموا وأسر اسفنديار فقال لبكير السلم أحب إليك أم الحرب قال بل السلم فقال لا تقتلني وأمسكني معك فإن أذربيجان لا يصالحونك مالم أصالحك فأمسكه بكير وبعد قليل وصل إليه مدد نعيم فسار الجميع إلى أذربيجان فصالح أهلها على الجزية وكتب بكير إلى عمر بذلك فأمره أن يولى عتبة بن فرقد على أذربيجان ويتقدم هو مدداً لجيش الباب فكتب عتبة لأهل أذربيجان كتاباً هذا نصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشعابها وأهل مللها كافة على الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس فى يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبد ولا متخل ليس فى يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ومن حشر منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله

ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه
ب جندب .

فتح الباب

سار سراقة بن عمر إلى الباب (ثغر بالخزر وهو الفاصل بين الفرس
نية والروس) وعلى مقدمته عبد الرحمن بن أبي ربيعة وقد سبقه بكير
انتظاره فلما أطل عبد الرحمن بن أبي ربيعة أمير المقدمة على الباب
ب بها يومئذ شهريراز ، كاتب عبد الرحمن فى الصلح فأجابه إليه فجاءه
ه إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب ولا ينبغى لذى
ب والعقل أن يعينهم ولست من الفتح ولا الأرمن فى شىء وإنكم قد
على بلادى وأمتى فأنا فيكم ويدى فى أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم
م بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتضعفوننا بعدوكم فأرسله عبدالرحمن
راقة فكلمه بمثل ما كلم عبد الرحمن فقال له سراقة لابد من الجزية على
م ولم يحارب العدو فأجابه إلى ذلك وصدق عليه عمر فكتب لهم سراقة
هذا نصه .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى سراقة بن عمرو وعامل
لمؤمنين عمر بن الخطاب شهريراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان
أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقصوا وعلى
رمينية والأبواب الطراء منهم والثناء ومن حولهم فدخل معهم أن
ا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا على
ضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر والحشر عوض من
م ومن استغنى عنه منه وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من
والدلالة والنزل يوما كاملا فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا
به ولما فرغ سراقة من الباب سير السرايا إلى الجبال المحيطة

بأرمينية فوجه بكير بن عبد الله إلى موقان (كورة بأرمينية) وحبيب ابن مسلمة إلى تفليس (بلد فى القوقاز من أملاك الروس الآن) وحذيفة ابن أسيد إلى جبال اللان (أمة وبلاد فى طرف أرمينية وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر فافتتح بكير موقان وصالح أهلها وكتب لهم هذا الكتاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال الفتح الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار عن كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته فلهم الأمان ما أوفوا ونصحوا وعلينا الوفاء والله المستعان فان تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم وإلا فهم متمالؤن كتب (سنة ٢١) وكتب سراقة إلى عمر بذلك ثم توفى سراقة رضى الله عنه واستخلف على جيشه عبد الرحمن بن أبى ربيعة فاقره عمر وأمره أن يغذو الترك فخرج حتى قطع الباب فسأله شهريراز عن وجهته فقال أريد بلنجرد (بلد بالخزر خلف باب الأبواب) والترك فقال إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب فقال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم بلادهم وبالله إن معنا أقوا مالو يأذن لهم أميرنا فى الامعان لبلغت بهم الردم فقال شهريراز ومن هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الأمر بنية ولا يزال هذا الأمر فيهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فسار حتى بلغ بلنجرد فلما رآه أهلها قالوا ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة ولم يقفوا فى وجهه ولم يزل حتى أبلغ خيله البيضاء على مائتى فرسخ من بلنجرد ورجع ولم يصب أحد من جيشه وأقام هناك والياً على جيش الباب .

فتح خراسان

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان ليلاقى يزدجرد ملك الفرس

أقام بمرور يثير الفرس على المسلمين فلما بلغ هراة (بلد من إقليم
ان وهى الآن من بلاد الأفغان) افتتحها ثم سار نحو مرو الشاهجان
منها يزدجرد ولحق بمرو الروذ (كلاهما بين هراة وبلخ) وكتب إلى
الترك وإلى ملك الصغد وملك الصين يستمدهما فملك الأحنف مرو
ن واستخلف عليها ثم سار نحو مرو الروذ وخرج منها يزدجرد ولحق
(بلد قريب من نهر جيحون وهى الآن تحت حماية الروس) فملك
ف مرو الروذ وهنا أتته أمداد أهل الكوفة فسيرهم أمامه إلى بلخ
ا حتى التقوا بيزدجرد هناك وقاتلوه فهزموه حتى عبر النهر ولم يدرك
ف ومن معه الموقعة حيث أتى بعد الهزيمة فرجع إلى مرو وأقام بها
إلى عمر بالفتح والأخماس وأخبره بعبور يزدجرد النهر فنهاه عمر
بور خلفه . أما يزدجرد فجاءته بعد عبوره أمداد الترك وعليهم خاقان
. أهل فرغانة والصغد فعدى بهم النهر راجعاً وترك الترك أمام
ف وجيشه بمرو الروذ وقصد يزدجرد مرو الشاهجان فحصر حاميتها
رج منها خزائنه وأراد أن يرحل بها إلى فرغانة أو الصين فيقيم
هما فلم يمكنه من ذلك أهل خراسان قائلين ارجع بنا إلى هؤلاء القوم
م فإنهم أوفياء وأهل دين وإن عدوا يلينا فى بلادنا أحب إلينا من عدو
بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما قاؤهم فلم يقبل فأخذوا منه الخزائن
حق بخاقان ملك الترك الذى لم يتمكن من الوقوف أمام المسلمين وجاء
انيون إلى الأحنف فصالحوه ودفعوا إليه خزائن كسرى وتراجعوا
انهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة واغتبطوا
سلمين حيث أن الرجل منهم لم يكن مكلفاً إلا بدفع شىء قليل جزاء
وبعد ذلك ماله وعرضه ودمه كمال المسلم وعرضه ودمه محرم كحرمة
لحرام فى الشهر الحرام فى البلد الحرام وناهيك بمن اعتبره المسلمون
اقه فكيف تخفر وليس عليه بعد ذلك إلى النصيحة للمسلمين وعدم

الموالاة عليهم فإن فعل شيئاً من ذلك فقد غدر وليست له ذمة فدمه حلال وماله حلال وهذا شيء يسير على الإنسان ما دامت له الحرية فى دينه وعمله وهذا ما قرره دين الإسلام .

وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية ثم سار الأحنف إلى بلخ وأنزلها أهل الكوفة لأنها من فتوحهم وكتب بكل ذلك إلى عمر وأقام هو والى خراسان وتتمة حديث يزدجرد ستأتى فى خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

وسار عثمان بن أبى العاص الثقفى إلى اصطخر فالتقى هو وأهلها بجور (هى مدينة فيروز أباد قريبة من أصبهان ينسب إليها الورد الجورى) فهزمهم ثم رجع من فروا منهم طالبين البقاء فى بلادهم مع دفع الجزية فأجابهم ثم فتح كازرون والنوبندجان (قاعدة كورة بفارس اسمها سابور) واشترك هو وأبو موسى الأشعرى فى فتح شيراز (قصبة بلاد فارس) وأرجان وسينيز وقصد عثمان جنابة (بلد بفارس تحازى جزيرة خارك بالبحر الفارسى وتقرأ الآن كرك وهو غلط مصدره الترجمة) ففتحها ولقى جمعا من الفرس بناحية شهرك فهزمهم ثم أقام والياً باصطخر .

فتح فسا ودرابجرد

وسار سارية بن زنيم الكلابى إلى مدينة فسا ودرابجرد والتقى مع أهلها بصحراء فاقتتلوا ثم إن الفرس استمدوا من بقربهم من أكراد فارس فأمدوهم فدهى المسلمين أمر عظيم وكان عمر رضى الله عنه قدر أى ليلة الواقعة فيما يرى النائم ما عليه المسلمون فلما أصبح نادى بالصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إلى المسلمين وكان سارية ومن معه بصحراء إن أقاموا فيها هلكوا وإن استندوا إلى جبل خلفهم لم يؤتوا

وجه واحد فقام عمر فقال يا أيها الناس إنى رأيت هذين الجمعين
بحالها ثم صاح وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ثم أقبل على
ن وقال إن لله جنوداً ولعل بعضها أن تبلغهم فبحول الله وقوته سمع
هذا الصوت فانحاز بمن معه إلى الجبل وقاتل العدو حتى هزموهم
إلى عمر بالفتح والخمس ومعه سفط فيه جوهر فلما رآه عمر لم يقبله
ليباع ويقسم على الفاتحين وسأل من فى المدينة رسول سارية هل سمعتم
وم الواقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل فلجأنا إليه وقد كدنا
أقام سارية والياً على درابجرد .

فتح كرمان

سار سهيل بن عدى إلى كرمان ، ولاية تلى إقليم فارس من الشرق
ا كرمان وأمده عمر بعبد الله بن عبد الله بن عتبان فلما وصلاها وجدا
اً عظيما من الفرس فقاتلاهم حتى فض الله جمعهم وقتل مرزبان كرمان
ا المسلمون ظافرين ووجدوا فيها كثيراً من البعير والشاء .

فتح سجستان

سار عاصم بن عمرو إلى سجستان ، ولاية شرقى كرمان أغلبها الآن
ى الأفغان وقصبتها زرنج ، فاستقبله أهلها بحرب انتهت بهزيمتهم
المسلمون حتى حصروهم بزرنج فطلبوا الصلح على زرنج وما احتازوه
رضين واشترطوا أن فدافدها حمى فأجيبوا وكان المسلمون يتجنبون
فدافد خشية أن يصيبوا منها شيئاً فيكونوا قد خفروا الذمة وهو أمر
ه .

فتح مكران

سار الحكم بن عمير التغلبي إلى مكران ولحقه سهيل بن عدى فاتح كرمان

وعبد الله بن عبد الله بن عتبان الذى كان مدداً لسهيل فساروا حتى انتهوا
إلى دوين النهر (على الحدود بين الفرس والسند) والمشركون من مكران
على شاطئه وأمدهم ملك السنم بجيش كثيف فقاتلهم المسلمون حتى هزموهم
وأوصلوهم النهر ثم رجع المسلمون إلى مكران وكتب الحكم بالفتح والخمس
إلى عمر مع صحار العبدى فسأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هى
أرض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها وقل وعدوها بطل وخيرها قليل
وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال
عمر أسجاع أنت أم مخبر ولا والله لايغزوها جيش لى أبداً وكتب إلى الحكم
يأمره بالوقوف عندما فتح وألا يجوز مكران .

هذا مافعلة المسلمون من الأفعال العظيمة مدة عمر فى البلاد الفارسية
ذات الشوكة والعظمة ابتدأوا سنة اثنى عشرة من الهجرة فى فتح أول بلد
من بلادهم وهى الأبلة واستمروا على الفتوحات إلى أن مات عمر رضى الله
عنه ، تمموا فتح بلاد تبتدىء من حدود بلاد العرب غرباً وتنتهى إلى
ماوراء النهر وبلاد السند شرقاً والخليج الفارسى جنوباً وبحر الخزر وارمينية
والروس شمالا . اجتمعوا مع الفرض فى كثير من الوقائع أشهرها وقعة
الأبلة لخالد بن الوليد ووقعة القادسية لسعد بن أبى وقاص ونهاوند للنعمان
بن مقرن ووقعة يزدجرد للأحنف بن قيس وكثير غيرها ، لم تنكس لهم
راية ولم يفل لهم جيش لم ير المسلمون فى وقعة من الوقائع مساوين أقرانهم
من الفرس فى العدة والعدد بل كان الفرس فى كل وقعة أضعافهم . لم يكن
العرب أعلم من الفرس بتعبية الجيوش ولا باحكام معدات الدفاع . لم يكن
المسلمون أكثر من الفرس مالا حتى يمكنهم أن يستميلوا به أعداءهم ليكونوا
معهم بل حالهم من الشظف وضيق العيش لاتخفى ، لم يكن المسلمون أعلم من
الفرس بطرق الدسائس والخديعة حتى يستعملوها فى حروبهم فلم إذاً هذه

صارات الباهرة والفتوحات العظيمة ؟ اللهم ما ذلك إلا بالتأييد الإلهى
حبوه باتحاد وائتلاف قلوبهم حتى صاروا أجساماً متعددة لهم قلب
، ورأى واحد وهو تعميم الدين الإسلامى بين الأمم الحائدة عن الصراط
ى والمنهج القويم . انظر رعاك الله إلى ما كان به رسل سعد ملوك فارس
ده تره جواباً واحداً وهو أن الله أرسلنا لنخرج العباد من ظلمات
ة وجور الملوك إلى نور الإيمان وعدل الإسلام كلهم فى ذلك سواء
الأعرابى الجافى الذى كان قبل الإسلام لاهم له إلا النهب والغارة .
ن خلفاؤهم بالجبناء الذين يخشون تهديداً أو يخافون وعيداً ولم تكن
م بالدخلاء الذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ولم تكن الأمة
قة الأهواء المتشعبة المذاهب تشتغل بسفسف الأمور وتترك عظيمها
ك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لخوف أو جبن ولم تكن علماؤهم
ون بالزهو والكبرياء والعجب والتفانى فى حب الدنيا وتقليد المناصب
خرة بذلك حتى تدب بينهم العداوة والبغضاء ولم يكن الدين قد بليت
بل كانت مظاهره تتجلى على أقوالهم وأعمالهم لايخشون فى الله لومة
لا عجب أن انتصروا وفتحوا وملكوا فى زمن يسير مالايتصور أن
أمة عظيمة عندها بسطة فى القوة والمال والعلم . اللهم ألهم المسلمين
أمورهم ما فيه السداد فإن الطريق واضح والحق بين فإذا انتبهت
ر ، رشدت إلى ما فيه خيرى الدنيا والآخرة وحسبنا الله ونعم الوكيل
ول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فتح بلاد الشام

تركنا المسلمين فائزين منصورين باليرموك بعد موقعتها الهائلة وأمير
أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح العامرى القرشى بعد سيف
لد بن الوليد المخزومى القرشى وحينئذ بلغ الأمير أن فل الروم لحقوا

فحل وأن مدداً عظيما من قبل ملك الروم أتى دمشق فكتب إلى أمير المؤمنين يستشيره بأى البلدين يبدأ فكتب إليه أن سير إلى فحل فرقة تشغل من بها وسر أنت إلى دمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكه . فسير أبو عبيدة فرقة من جيشه إلى فحل فحاصرتها وسير أخرى لتكون بين حمص ودمشق لتمنع الأمداد عنها وأخرى لتكون بين دمشـــق وفلسطين وتوجه هو وعلى مقدمته خالد بن الوليد إلى دمشق واستخلف على فلسطين والأردن عمرو بن العاص .

فتح دمشـــق

فلما وصل إلى دمشق تحصن أهلها فحصرهم المسلمون أبو عبيدة من جهة وخالد بن الوليد من أخرى ودام الحصار سبعين ليلة وبينما خالد على حصاره ليلة سمع جلبة فأرسل من يستعلم الخبر لأنه كان يتجسس أحوال عدوه فلا يخفى عليه منها شيء لينتهز الفرصة فعلم أن ولد ابطريق المدينة ولد فصنع وليمة سكر فيها الجند سكراً شديداً فاتخذ خالد حبالا على هيئة السلالم وأوقاها ثم نهض هو ومن معه من أرباب النجدة وهو أمامهم ومعه القعقاع (قبل أن يتوجه للعراق) وأمثاله وقال خالد لمن معه إذ سمعتم تكبيرنا على السور فاقصدوا الأبواب ولما وصل خالد ومن معه إلى السور رموا الحبال فعلق منها حبلان فصعدوا عليهما وتبعهم كثير ولما صاروا فوق السور قصدوا الباب ففتحوه وكبروا فدخل الجيش مكبراً حتى أزعج تكبيره أهل المدينة فصحوا من سكرتهم مذعورين لايقدرون على شيء فذهب وفد منهم إلى أبى عبيدة يطلبون الأمان فأمنهم ودخل معهم المدينة ليؤمن الناس فالتقى بخالد وسط البلد هذا سلما وذاك حربا ، فأخبره أبو عبيده بالصلح فكف وأجروا مافتح عنوة مجرى الصلح فصارت كلها صلحاً وبعث أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ثم استخلف على المدينة يزيد بن أبى سفيان ففتح سواحلها :

يدا وعرقه وجبيل وبيروت) وسير أخاه معاوية لفتح قيسارية ففتحها
أبو عبيدة فسار إلى فحل وعلى مقدمته خالد وعلى الجنبتين وعمرو
العاص وأبو عبيدة وعلى الخيل ضرار بن الأزور الأسدى وعلى الرجال
ض بن غنم وعلى الناس شرحبيل بن حسنة فنزل شرحبيل بالناس فحلا
صرها . وفى ليلة خرج الروم يريدون بيات المسلمين وكان شرحبيل
راً لايبيت ولايصبح إلا على تعبية لكثرة ما كان عمر بن الخطاب
وهم البيات فقاتلهم قتالا شديداً تلك الليلة كلها ويومها كله فلما أمسى
اء خمدت همة الروم فانهزموا وحيل بينهم وبين المدينة بمياه كانوا فجروها
حلوا بها الأرض لتكون خندقاً حول المدينة فأخذهم المسلمون من كل
ة واستولوا على المدينة فأرسل الأمير إلى عمر بالفتح والخمس ثم فصل
جيشه فرقتين أمر على إحداهما شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى بيسان
جه الأخرى إلى طبرية (قصبة الأردن) ففتح كل منهما مدينته على مثل
ح دمشق . أما أبو عبيدة فسار ومعه خالد إلى حمص فلما وصل مرج
وم التق بجيشين بعثهما هرقل لقتال المسلمين أحدهما برياسة بطريق اسمه
ر والثانى برئاسة شنش الرومى فوقف خالد أمام الأول وأبو عبيدة
م الثانى فلما أصبح خالد لم يجد لتوذر ولا لجيشه أثراً لأنه ترك خالداً
جه إلى دمشق ليفتحها ظاناً أن ليس بها حامية فعلم خالد قصده فتبعه
م به يزيد بن أبى سفيان أمير دمشق فاستعد للقائه فانحصر توذر بين
شين فأخذ هو وجنده ولم يفلت منهم إلا القليل أما أبو عبيده فانه لاقى
ش وهزمه فرجع خالد وقد قضى الأمر .

فتح حمص

فسار مع أبى عبيدة إلى حمص ولما بلغ ذلك ملك الروم وأرسل إلى
ريق حمص يأمره بالمسير إليها وسار هو إلى الرها أما المسلمون فروا

لك ففتحوها ولما وصلوا حمص حاصروها فتحصن أهلها منتظرين مدد
ل ولكن لما طال عليهم الأمر راسلوا أبا عبيدة فى صلح مثل صلح
ق فأجيبوا واستخلف عليها عبادة بن الصامت وسار هو قاصداً حماه
اه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية والخراج ثم سار نحو شيزر (بلد
ب من حماه) ففتحها صلحاً وقصد بعدها المعرة (بين حماه وحلب)
ها كذلك ثم اللاذقية (من أعمال حلب) فملكها عنوة وهرب سكانها
طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى بلادهم ويقيموا فيها فقوطعوا على
اج يؤدونه وبنى فيها المسلمون مسجداً جامعاً ثم أرسل أبو عبيدة خالداً
ح قنسرين (كورة بالشام) فلما بلغ الحاضر قابله جمع عظيم من الروم
هم قائد اسمه ميناس فقاتلهم خالد حتى هزمهم وقصد قنسرين فتحصن
ها منه فقال لهم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا
روا فى أمرهم وما لقيه أهل البلدان الأخرى من المسلمين فرأوا أن
ل لهم بالحرب ولا الحصار فطلبوا الصلح على مثل صلح دمشق فلم يرض
على تخريب المدينة فخربت حصونها ثم أدرب خالد وراء هرقل من
ام وأدرب وراءه عياض بن غنم من الروم فـــترك ملك الروم الشام
دعها الوداع الأخير وسار إلى القسطنطينية ، ولما بلغ عمر فعل خالد
أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال منى (ثم) سار
عبيدة إلى حلب فتحصن أهلها ثم طلبوا صلحاً بأمان على أنفسهم
ولادهم وأموالهم وكنائسهم وحصنهم فأجيبوا واستثنى عليهم موضع
سجد ثم سار إلى أنطاكية فصالحه أهلها على الجلاء لمن أرادوا الجزية على
أقام وكانت أنطاكية أعظم ثغور الروم فأرسل عمر إلى أبى عبيدة أن
ب لها جماعة من المسلمين يرابطون بها ثم سار إلى معرة مصرين ففتحها
لحاً وبث السرايا لما جاورها من القرى والبلدان ففتحت لهم ثم سار
عبيدة إلى قورس (كورة بنواحى حلب وهى الآن خراب) ففتحها

ح تل عزاز ثم سار إلى منبج من بلاد الروم على الفرات فصالح أهلها
مثل صلح حمص واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بأخبار الروم
ى أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملا وشحن الثغور المخوفة بالمرابطين
ر إلى بالس (بلد بشط الفرات) وبعث سرية مع حبيب بن مسلمة إلى
رين فصالح أهلها وتم للمسلمين فتح الشام من هذه الناحية إلى الفرات ؛
ماد أبو عبيدة إلى فلسطين وسير جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسى
ده بمالك بن الحارث الملقب بالأشتر فسلكوا درب بفراس (بلد بلحف
ى اللكام وهو جبل يسامت حماه وشيزر وأفامية ويمتد شمالا إلى صهيون
فر وبكاس وينتهى عند انطاكية) إلى بلاد الروم فلقوا هناك جمعاً
م معهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقعوا
وسير أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش (قرب انطاكية) ورئيسه
ـ بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخربها .

أما عمرو بن العاص الذى كان على الأردن فإنه سار إلى أجنادين وقد
ع بها جيش عظيم من الروم عليهم داهية منهم اسمه أرطبون فحاصره
و حصارا شديداً ثم لم يزل يتجسس حتى عرف مأخذه فحاربه وهزمه
ى فى هزيمته إلى إيلياء (بيت المقدس) فسار وراءه عمرو وحصره ثم
ب أهله الصلح على أن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ب عمرو إليه بذلك فعزم عمر على السفر إلى الشام ليتسلم بيده مفاتيح
جد الأقصى فسار من المدينة بعد أن ولى عليها على بن أبى طالب وكتب
عماله أن يوافوه بالجابية وهى بلد بدمشق فوافوه بها وكان أول من لقيه
بن أبى سفيان ثم أبو عبيدة ثم خالد بن الوليد على الخيول عليهم الديباج
رير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم
تستقبلون فى هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين والله لو فعلتم هذا على
ى المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين أنها يلامعة (هى

رق من السلاح) وإن علينا السلاح قال فنعم إذاً وجاءه وهو بالجابية
ى إيلياء مستأمنين فصالحهم على الجزية وكتب لهم أماناً هذه صورته .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين
ى إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم
مها وبريئها وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص
ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون
دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود
ى أهـــل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن
جوا منها الروم واللصوت ، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى
وا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ،
ى أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم
لبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم
ى كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدو عليه مثل
لى أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله
لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة
وله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية (اهـ من الطبرى)
ا دخل عمر المدينة دخل كنيسة القيامة وجلس فى صحنها وحان وقت
لاة فقال للبطريرك أريد الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على
جة التى على باب الكنيسة منفردا فلما قضى صلاته قال للبطريرك
صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدى وقالوا هنا صلى عمر
ب لهم ألا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها ثم قال أرنى موضعاً
فيه مسجداً فقال على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها
ا كثيراً فشرع فى إزالته وتناوله بيده يرفعه فى ثوبه واقتدى به المسمون
ة فزال لحينه وأمر ببناء المسجد (ذكر ذلك ابن خلدون فى الجزء الثانى

ريخه ثم ولى رضى الله عنه الولاة على الشام بعد أن قسمها أقساما وجعل
ين ولايتين إحداهما قصبتها الرملة والأخرى قصبتها إيلياء ثم رجع
الله عنه إلى المدينة فائزاً منصوراً وهذه أول مرة سافر إلى الشام .

وفى السنة الثامنة عشر حصل فى الشام طاعون أتى على كثير من جند
ين وهو طاعون عمواس وبلغ عمر خبره وهو متوجه إلى الشام المرة
فوافاه الأمراء بسرغ (موضع قرب الشام بين المغيثة وتبوك) وفيهم
بيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان مع عمر المهاجرون والأنصار
م مستشيرا أيمضى لوجهه أم يرجع فاختلفوا عليه فمن قائل خرجت
الله فلا يصدنك عنه هذا ومن قائل إنه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم
م أحضر مهاجرة الفتح من قريش فلم يختلفوا عليه بل أشاروا بالعودة
عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة أفرارا من قدر الله
نعم من قدر الله إلى قدر الله لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان
هما مخصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله
رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبد الرحمن ابن عوف فجاءهم
إن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا
إذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه) فانصرف عمر بالناس
دينة ومات بهذا الوباء أبو عبيدة فخلفه عمرو بن العاص فخرج بالجيش
ضع مرتفع من الجبال فخف عنهم الوباء فاستحسن عمر فعله ومات
ن أبى سفيان أمير دمشق فاستخلف عليها أخاه معاوية واستعمل
يل بن حسنة على جند الأردن وخراجها وأصاب الناس من الموت
وا مثله ثم رفعه الله عنهم بعد إقامته شهوراً فكتب الأمراء إلى عمر
أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال قد بدا لى أن أطوف
سلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم فأشيروا على وإن مواريث أهل
قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع

تقلب فى البلاد وأبدى إليهم فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن أبى
طالب وجعل طريقه على أيلة فلما دنا منها وركب بعيره وعلى رحله فرو
مقلوب وأعطى غلامه مركبة فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال
أمامكم يعنى نفسه فسار وانتهى هو إلى إيلة فقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين
أيلة ونزلها فرجعوا ولما قدم رضى الله عنه إلى الشام قسم المواريث فورث
بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم ورتب
الشواتى والصوائف (الشواتى جمع الشاتية وهى السرية التى تغزو فى الشتاء
والصوائف جمع صائفة وهى التى تغزو فى الصيف) وسد فروج الشام
ومسالحها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل
معاوية على دمشق وعزل شرحبيل عن الأردن وقال للناس إنى لم أعزله
عن ريبة ولكن أريد رجلا أقوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة لى
الأهراء (جمع هرى وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان) ثم قيل لعمر
لو أمرت بلالا فأذن فأمره بذلك فما بقى أحد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم
إلا بكى حتى بل لحيته وعمر أشد الناس بكاء وبكى من لم يدركه لبكائهم كل
ذلك لذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع عمر إلى المدينة
فى ذى القعدة .

فتح مصر

ولما كان بالشام استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر وذكر له خيرها
وأنها قوة عظيمة لمملكة الروم وكانت اذ ذاك تابعة لهم عليها وال من قبلهم
مقيم بالاسكندرية فسيره عمر بجيش كثيف ثم أتبعه بالزبير بن العوام
فاقتحموا باب أليون وساروا فى قرى الريف إلى مصر وهناك قابلهم
الجاثليق أبو مريم ومعه الأسقف بعثه المقوقس عظيم مصر لحماية البلاد فلما
التقى بهم عمرو بدأه بالقتال فقال عمر لا تعجلوا حتى نعذر إليكم وليبرز إلى

ق والأسقف فخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما
ة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل . روى
في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنكم ستفتحون مصر
رض فيها يسمى القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة
أو ذمة وصهرا » فقال قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء آمنا حتى
إليك فقال مثلي لا يخدع ولكني أؤلكما ثلاثاً لتنظرا فقالا زدنا
ا يوما فرجعا إلى المقوقس عظيم القبط وارطبون الوالى من قبل الروم
هما خبر المسلمين فأما أرطبون فأبى وعزم على الحرب وبيت المسلمين
ه هو وجنده إلى الاسكندرية ونزل المسلمون عين شمس (وهى المطرية
على فرع من فروع النيل) فحاصروها وبعث عمر لحصار الفرماء
بن الصباح ولحصار الاسكندرية عوف بن مالك وراسله أهل البلاد
روا ما يفعله المسلمون بعين شمس وبعد مدة من حصارها رضى أهلها
ح على إعطاء الجزية وأجروا ما أخذ قبل ذلك عنوة مجرى الصلح
وا رد السبايا فأرسل ابن العاص إلى أمير المؤمنين بذلك فأجاب وكتب
بذلك كتاباً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر
مان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم
ل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل
أن يعطوا الجزية إن اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم
ألف درهم وعليهم ما جنى لصوتهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع
ن الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا
رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله
لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ
و يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثاً فى كل ثلث جباية ثلث

ما عليهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابو أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على أن يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر (عن الطبرى) فدخل ذلك الصلح أهل مصر كلهم . أما المبلغ الذى قرر عليهم فبلغ ألف ومائتين وخمسين ألفاً من دنانير اليوم باعتبار الدرهم قرشين ونصفاً فلا ينال الشخص الواحد منهم إلا عشر الدينار أو ما يزيد عن ذلك قليلا لأن تعداد مصر إذ ذاك كان على أقل ما ورد فى كتب التاريخ عشرة آلاف ألف ثم نزل المسلمون على الفسطاط الذى ضربه عمرو واختطا حوله خيامهم فى الموضع الذى كانوا يحاصرون مصر منه وهجروا المدينة التى يسكنها المقوقس وأسس عمرو بمدينته مسجده المشهور ولما انتهى أمر الصلح سار عمرو إلى الاسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثخن فيهم ونازل الإسكندرية وطلب من أهلها النزول على صلح أهل مصر فلم يفعلوا ففتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وكان الروم قد أخذوا فى وقت الحرب شيئا كثيراً من الأقباط أهل الأرياف فأتوا إلى عمرو وقالوا لم نكن محاربين بل أخذت أموالنا قهراً عنا فرد عليهم ماعرفوه أنه لهم بعد إقامة البينة على ذلك ولما تم فتح مصر والاسكندرية وارتحل الروم إل القسطنطينية أقام المقوقس والقبط على الصلح الذى عقده لهم عمرو وأبقى المقوقس على رياسة قومه وكان المسلمون يشاورونه فيما ينزل بهم من المهمات إلى أن توفى وكان يقيم بالاسكندرية وفى بعض الأوقات بمنف .

وبفتح مصر انتهى ما فعله المسلمون رضوان الله عليهم مع الروم فى مدة عمرو وأخذوا ولايتين عظيمتين الشام ومصر وجزءاً مهما من جنوب بلاد الروم (الأناضول) وبالإجمال فقد أضعفوا شوكتهم وأدالوا دولتهم ، وحيث قد مضى القول فيما كان من الفتوحات زمن الخليفتين رضى الله عنهما

ى اللازم على المسلم أن يعرف تلك النظامات السامية التى كان يتبعها
، فى ذلك العصر حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من خوارق
فنقول :

عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الأمة فى عهد الخليفتين
مظاهر الإسلام ونظاماته لحق لنا أن نجعل هذا الوقت أساساً لنظام
فى العصر الأول ونحكم حكما قطعياً أن المسلمين إذا اتبعوها عزوا
دوا عنها ذلوا .

مقام الخلافة

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت الأمة تنظر إلى الخليفة نظرها إلى رسول الله صل الله عليه وسلم يبذلون له الطاعة فى سرهم وعلانيتهم ممتثلين قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ۝ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ وقوله ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما ﴾ فكانوا يرون أن عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء . حاشا لله . بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف من ذلك .

هذا كان حال الأمة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد فى نفسه أنه أرقى درجة من الأمة قال أبو بكر فى أول خطبة له (قد وليت عليكم ولست بخيركم) ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف فى أموالهم ولا دمائهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » ولما أرسل خالد بن الوليد لأبى بكر هدية الفرس التى اعتادوا تقديمها لملوكهم عدها من الجزية وأمر خالد أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الأكاسرة

العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى ولما عدا
الأيهم الغسانى (آخر ملوك الغساسنة بالشام) على الأعرابى فلطم
ى عمر إلا القصاص وكان عمر يرسل لجميع الأمة فى الأمصار أن من
أو أمير فليواف الموسم ليقتص له فكان الأمراء والولاء يخشون
لم أو ذمى لئلا يقتص منهم على رؤوس الأشهاد فينفضحوا فكانت
ى نظر الخليفه سواء لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى قال
فى أول خطبة له (الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق ،
فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) ولم يكن الخليفة يحتجب
ية حتى يصعب على أحد منهم أن يكلمه فكان عمر لا يبالى أن يجلس
د أو فى السوق وكانت الرحمة للأمة ملء قلوبهم تشبها برسول الله
عليه وسلم الذى سماه الله الرءوف فكان أبو بكر وعمر يخرجان
فقدان أحوال البائسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة
ينفع مال ولا بنون وكان عمر يقول والله الذى بعث محمداً بالحق
حملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب
نفسه وكان إذا ولى عاملا يقول اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا
ولا يضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى وكان
دقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين (روى الطبرى عن
أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة
إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يا أسلم إنى أرى هؤلاء ركبا
م الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا فإذا امرأة معها
ا وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم
الضوء ـ وكره أن يقول يا أصحاب النار ـ قالت وعليك السلام
و قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل
قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأى شىء

فى هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أى رحمك الله ما يدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على فقلت أحمله عنك قال احمله على مرتين أو ثلاثاً كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك فقال فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول ذرى على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج أدم القدر ثم أنزلها وقال أبغينى شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام فقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيراً ، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولى خيراً إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله ثم تنحى عنها ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت أقول له إن لك شأنا غير هذا وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل على وقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم) بقدر ما كانت رحمتهم كانت شدتهم فى جانب الله وحدوده لا يبالون على من أقاموها عليه متبعين ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه فى أن يعفو عن قطع يدها « إنه أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وحد عمر ابنه فى شراب له فمات ، لم تمنعه رقة الأبوة عن إقامة حد الله ، وعلى العموم فكان خلقهم القرآن والسنة لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمله فى أمره كله .

الصـــلاة

ن المسلمون يعتقدون أن الفارق بين المسلم وغيره هو الصلاة قال تعالى
الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ وقال ﴿ إن الصلاة تنهى
حشاء والمنكر ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى
ل أفضل « الصلاة لوقتها » فكانوا يحافظون على أوقاتها ، ولما كان
مقصد سام من تفضيل صلاة الجماعة لتجتمع القلوب بالتوجه لوجهة
ة كانوا يفضلون صلاة الجماعة على صلاة الفذ (المنفرد) حتى إنهم
ن تاركها بالنفاق وناهيك بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ن المتخلفين عنها « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب
ر بالصلاه فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال
رق عليهم بيوتهم » رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وكانت إمامة
ين فى الصلاة راجعة إلى الخليفة يعدها أرفع وظائفه ولقد استدل
ابة رضوان الله عليهم على أحقية أبى بكر بالخلافة باستخلاف رسول
لى الله عليه وسلم له فى الصلاة بالمسلمين حين مرضه ولم يكن الخلفاء
ن فيها بل كانوا يباشرونها بأنفسهم كما كان أمراؤهم فى الولايات
ك ومثل إمامة الصلاة الخطبة فى أوقاتها والجمعة والأعياد والحوادث
وم مقام الخليفة أو أميره أحد من الناس . وهذا كان يفعل فى المساجد
رى فى الأمصار أما المساجد المختصة بقوم أو محلة فكان الخليفة يعين
ن يقوم بالصلاة فيها كما فعل عليه الصلاة والسلام مع أهل قباء وغيرهم
ل ذلك شأن الخطبة فإنه لم يكن فى المصر الواحد إلا مسجد واحد جامع
بالخطبة فيه أمير المؤمنين أو أمير المصر وجعل الشرع عقاب تارك
لاة كسلا : القتل إن لم يتب حسبما رآه بعض الفقهاء ، ورأى آخرون
عزر فحسب : أما إذا لم يعتقدها فهو مارق من الدين يقتل كفراً .

الزكاة

الزكاة هى أحد أركان الإسلام وقد أمر الشرع بأخذها من الأغنياء
ردها على الفقراء وجعل لها نصابا معلوماً متى ملكه الإنسان حقت عليه
ى النقدين والنعم وما يخرج من بركات الأرض وعروض التجارة ومن
نعها قوتل عليها كما فعل أبو بكر مع مانعى الزكاة ومصارفها مذكورة
ى قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
وبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضه من الله
الله عليم حكيم ﴾ والفقراء والمساكين هم العاجزون عن إدراك حاجاتهم
نفسهم والعاملون عليها هم العمال الذين يعينهم الخليفة لقبضها ، والمؤلفة
ـبهم من لم يسلموا وينتظر إسلامهم إن أعطوا أو أسلموا وفى إسلامهم
عف الإعطاء يقويه وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القسمين
د فتح مكة ، والرقاب هم المكاتبون الأرقاء الذين كاتبهم ملاكهم على شىء
ا دفعوه عتقوا أو الأسارى أو تشترى الرقاب فتعتق ، والغارمون هم
ين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وسبيل الله الجهاد
بن السبيل المنقطع عن ماله ، ومن تأمل إلى نظام الزكاة وجده أبدع نظام
لاح الأمة والحكومة فهى شىء لا يضر الأغنياء ويعود بالنفع العميم
ى الفقراء فتعم السعادة الأمة بأمرها فلا يشتغل أفرادها بالاحتيال لأخذ
ال الناس بالباطل سلباً أو سرقة ولا تتولد العداوة والبغضاء بين الغنى
فقير فيتمنى هذا هلاك ذاك وتمسى أمة بين أفرادها عداوة وبغضاء .

الحج

الحج ركن من أركان الدين العظمى وقد فرضه الله على كل مسلم مرة
عمره . قال تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾

الذى يتولى الحج بالمسلمين خليفتهم وكان الخلفاء الراشدون يكتبون
لاتهم بالأمصار أن يوافوا موسم الحج للأطلاع على أمرهم وسيرهم مع
هم فمن كان لأحد من الرعية عليه شكوى اقتص منه مع ما فى ذلك من
المسلمين فى بقاع الأرض لخليفتهم فيتجدد بذلك عندهم عهد الطاعة
كان الخلفاء ينيبون عنهم من يحج بالناس وقد فعل رسول الله صلى الله
وسلم الأمرين جميعا فحج بنفسه حجة الوداع وأمر أبا بكر أن يحج
س فى السنة التاسعة .

الصـــوم

الصوم هو الركن الخامس من أركان الإسلام وقد فرضه الله على الأمة
أ فى السنة لتتهذب نفوسهم وتعطف على الفقراء والمساكين الذين بهم
اصة فيعطوا الزكاة عن طيب نفس ولذا فرض الله عقبه زكاة الفطر
ك الصوم يعزر بما يراه الإمام رادعا. فما أوفق هذه الأركان وما أسعد
ة لو اتبعتها ولم تتهاون بشىء منها فكلها لها حكمة باهرة لم يفرضها البارىء
، ياعجبا كل العجب لمن يقول إنى مسلم ثم هو يترك ركنا من أركان دينه
رى أنه إذا نقض من البناء ركن تداعى له البناء كله . ويوشك أن
س من أسسه والعياذ بالله ؟ ألهمنا يا ألله الصواب ووفقنا لما يرضيك
سميع الدعاء .

القضـاء

القضاء من وظائف الخلافة الكبرى لأنه منصب الفصل بين الناس فى
صومات حسما للتداعى وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من كتاب
أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى سورة المائدة
ن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وفى آية أخرى (فأولئك

هم الظالمون ﴾ وفى أخرى ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ وكان الخلفاء فى صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلونه لمن سواهم وأول من دفعه إلى غيره كما قال ابن خلدون هو عمر بن الخطاب فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الأشعرى بالكوفة وكتب له فى ذلك الكتاب المشهور الذى تدور عليه أحكام القضاة وهذا نصه منقولا عن الكامل للمبرد .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا لايمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشياء والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس

ـه شأنه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن
والسلام : وإنما قلد عمر القضاء لغيره ولقيامه بالسياسة العامة وكثرة
ما فى الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما
به غيره لعظم العناية به فاستخف القضاء فى الواقعات بين الناس
خلف فيه من يقوم به تخفيفاً على نفسه وكان الذين ينتخبون لهذا العمل
من كثرت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسطع عليهم نوره
لذلك يقدرون على استنباط الأحكام من القرآن والسنة المطهرة
عدون عن كل مايغضب الله ورسوله من جور ورشوة قال تعالى فى سورة
﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ وقال ﴿ ياأيها الذين
لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ حتى كانوا يتباعدون عن قبول الهدايا
ية الدعوة إلى الولائم فكان الولاة إذ ذاك سرجا يهتدى بهم فى الظلمات
دون إلا الله بأعمالهم بعد أن قربت منهم الدنيا فابتعدوا عنها لعلمهم أنها
ت يوم القيامة فرضى الله عنهم أجمعين .

الفتيـا

الفتيا فى صدر الإسلام كانت مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى
عليه وسلم وكان نور النبوة إذ ذاك ساطعا على الأمة فبينهم كثير ممن
ى الأحاديث وحفظها فمن مقل ومن مكثر كأم المؤمنين عائشة وعبد الله
مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم ولم يكن هناك أدنى مجال
ب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف وقد قال « من كذب
عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فكان الدين خاليا من تلك الشائبة
أحدثها خلف من بعدهم ، وكان الخلفاء يستفتون كبار الصحابة فيما
ض لهم من الحوادث فقد استفتى عمر عبد الرحمن بن عوف فيمن قتل

أرنبا فى الحرم . ولخطر الفتيا كان الأصحاب يحيلون على بعضهم فيها وكان المتصدرون لها منهم على كثرتهم سبعة عشر صحابيا وإنما كانوا يتباعدون عنها خوف الخطأ فى الأحكام .

الحــــدود

قد فرض الله عقابا لكثير من الأعمال التى تنتج الفساد فى الأمة وهذا العقاب حاسم وكفيل بعدم العودة إلى الشر وهو أربعة أنواع قتل وجلد وقطع وتعزيز فالأول على من قتل نفسا بغير حق أو ارتد أو سعى فى الأرض فساداً أو فر من الزحف أو ترك الصلاة كسلا على رأى أو زنى بعد إحصان لأن الزنا جناية على الأمة كلها حيث يختل نظام البيوت فيخرج الولد ولا أب له يربيه ويهذبه فهو والحالة هذه أشد خطراً من جناية القتل والجلد لمن زنى قبل إحصانه مائة ومن قذف غيره بزنا يجلد ثمانين ومن شرب خمرا يجلد أربعين أو ثمانين على اختلاف الصحابة فى ذلك . والسارق تقطع يده والجانى على ماسوى النفس يقتص منه بمثل مافعل ، العين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص وجعل الحق فى العفو للمجنى عليه أو وليه وهذا حق من حقوق الأمة أخذه الحكام حبا فى الأثرة بالسلطان . أما إذا كان القتل فما دونه خطأ فقد فرض الشرع لولى المجنى عليه فى القتل الدية وله فيما دون ذلك الأرش ليكون بمثابة تعويض عما فقد من نفس أو عضو وهذا العقاب أفيد للمجنى عليهم وأردع للجناة . أما التعزيز فهو فيما سوى ذلك من الأعمال التى أنكرها الدين كالغصب وترك الصوم وما شاكل ذلك وهذا فوض الشرع فيه الأمر للولاة ولو كان كتابنا هذا من موضوعه التكلم فى الفروع لاستقصينا أحكام الشرع فى الحدود والجنايات ولكن فيما ذكرناه من أمهات المسائل كفاية فى

على أن نظام الشرع أرقى وأسمى مما يبتدع من النظامات التى لاتلبث
ل بل هى كل يوم فى تغيير وتبديل ولا حول ولا قوة إلا بالله
ظيم .

الجهاد

سل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين قويم بشيرا ونذيرا فقام بما حمل
رسالة ربه كما أمر ولما كان قومه العرب بدأ بهم عامة وبقريش خاصة
هم إلى الحق وأنار لهم الطريق ودعاهم إلى دين كله مكارم أخلاق
وم وجفاه آخرون وقاموا فى وجهه يمنعونه تأدية رسالة ربه فصبر
صبر نبى كريم رءوف رحيم فلم يزدهم الحلم إلا غيا فارتكبوا صنوفا
ى والإيذاء له ولمن تبعه وازداد بهم الأمر حتى تآمروا على قتله فأمره
جرة إلى دار قوم اتبعوا وآمنوا به وهم الأنصار سكان المدينة الذين
على القيام دونه حتى يؤدى رسالة ربه ، فواقع قريشا جملة وقائع
غزوة بدر وآخرها غزوة الفتح التى فتحت فيها مكة وسقطت دولة
ن من البيت الحرام فدان أكثر قريش بالدين الحنيفى وازدادوا به
لى عزهم فى الجاهلية ولما كان أكثر العرب ممالئا لهم على ماهم فيه من
ن أمره الله بقتالهم كافة كما قاتلوا المسلمين كافة فكان له معهم جملة
آخرها وقعة هوازن بحنين التى ذهبت بها دولة الشرك من بلاد
ودعا عليه الصلاة والسلام من يجاوره من أهل الكتاب إلى دينه
جاء مصدقا لما بين يديه قال تعالى فى سورة آل عمران ﴿ نزل عليك
ب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى
وأنزل الفرقان ﴾ فأبوا الدخول فى دينه فعاهدهم وعاهدوه على ألا يكونوا
وه فلم يفوا بما عاهدوا وما لأوا الأحزاب فنبذ إليهم على سواء
هم جملة مواقع آخرها غزوة خيبر التى انفض بها جموع اليهود
دولتهم .

ولما كانت دعوته عليه الصلاة والسلام عامة بحكم قوله تعالى فى سورة
(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا) وأرسل ملوك الأرض
ن كانت لهم السطوة إذ ذاك فكاتب ملك الفرس كسرى ومن تحت حمايته
ملوك العرب وكاتب قيصر ملك الروم ومن تحت رعايته وكاتب النجاشى
الحبشة ليستضىء العالم بنور الإسلام ويتساوى الصغير والكبير أمام
ن فلا يطمع الشريف فى الحيف ولا ييأس الضعيف من العدل فتتخلص
سم من جور ملوك كانوا يعدون أنفسهم آلهة ورعيتهم عبيدا وكان مما
نه الله على لسان نبيه أن من أسلم فقد أحرز ماله ودمه وصار للمسلمين
اً لايكلف إلا دفع الزكاة التى بها قوام الأمة ومن أبى الإسلام لايجبر
ه بل يرضى بحكم الإسلام ونظاماته فى المعاملات ويدفع مقابل حمايته
اً صغيرا حده الشرع ، وبذلك يكون فى ذمة الله ورسوله له ما للمسلمين
يه ماعليهم فيجب على المسلمين أن يدافعوا عنه كما يدافعوا عن أنفسهم
والهم وأبنائهم وله الحرية التامة فى العمل بمقتضى دينه أما من أبى الأمرين
تل لأن الإسلام دين قويم جاء مصدقا بجميع الكتب المنزلة قبله واحتوى
مكارم أخلاق عليها مدار السعادة فى الدنيا فآبى الدخول فيه أو الانقياد
حكامه الدنيوية مع البقاء على دينه فى عبادته لاعذر له . ولما توفى رسول
صلى الله عليه وسلم كان من واجبات الخليفة بعده تتميم ما أمر به لأنه
فته فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فقام الخلفاء الراشدون بعده بذلك
قيام غير هيابين ولا وكلين فجردوا الجيوش لحرب الدولتين العظيمتين
ورتين لبلاد العرب ـ دولة الفرس ودولة الروم ـ بعد أن كتبوا لهم
تب يدعونهم للدخول فى الإسلام أو الإنقياد لأحكامه مع إعطاء
زاء وكانت قيادة الجيوش من وظائف الخليفة تبعا لرسول الله صلى الله
ه وسلم الذى كان يخرج بنفسه فى الغزوات ولكن لما كان للخلفاء مقاصد
ـرة فى بلدان متعددة يريدون فتحها فى آن واحد لم يكن بد من أن يستعينوا

فى إمرة الجيوش ممن لا يقل عنهم فى الشجاعة وتدبير الحرب فانتخبوا
وانهم من الصحابة من يستحق أن يسند له منصب عظيم كهذا ولم يكن
يه لغنى أو شرف قبيلة أو قدم صحبة أو كبر سن فقد ولى رسول الله
لله عليه وسلم عمرو بن العاص إمرة جيش فيه أبو بكر وعمر وولى
بن زيد إمرة جيش آخرهما فيه وإنما كان ينظر فى ذلك إلى العلم
ب والقدرة على تدبيرها وإعداد كل أمر لما يناسبه وكان الخلفاء يأمرون
الجيوش بما كان يأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يبدؤا
تال حتى يعرضوا عليهم الإسلام فإن أبوه فالجزية فإن أبوهما فالقتال
يوصونهم بما أوصى به أبو بكر أسامة حين سيره بعد وفاة رسول
لى الله عليه وسلم بعدم الإفساد فى الأرض وعدم التعدى على النساء
ان والشيوخ والرهبان وكانوا يقسمون الجيش إلى خمسة أقسام مقدمة
ومجنبتان وقلب ولكل قسم أمير يصدر عن أمر قائد الجيش وكانوا
ن الجيش بعد ذلك كراديس (صفوفا) كل كردوس ألف رجل
كل كردوس رجل من الشجعان يكون فيهم بمنزلة الأمير ثم يقسمون
وس إلى عشرات على كل عشرة رئيس يسمى عريفاً وكانوا يقاتلون
ب عملا بقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم
مرصوص) وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
وقتال الزحف أشد الأعداء من قتال الكر والفر الذى كان متبعاً
رب (أما) غنائم الحرب فكانت تقسم أخماساً فأربعة أخماسها للغزاة
ى ثلث الفارس والخمس الباقى يقسم حسبما أمر الله تعالى فى سورة
ب (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى
ى والمساكين وابن السبيل) وأما الأسرى فحكمهم ماذكره الله فى سورة
(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا
فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) والمن أن يعفو

ليفة عن الأسير فيطلقه من غير فداء والفداء يختلف بحال الأسرى غنى
قراً . أما سلب القتيل فحق القاتل لاينازع فيه ولم يكن فى العصر الأول
د معلوم للجيش بل كان كل مسلم ملزماً بالاستعداد عند ماينتدبه الخليفة
ذا كان الاستنفار عاما وجب على كل مسلم الخروج ومن تخلف ظن فيه
فاق وعوقب أشد العقاب وناهيك ماحصل فى عهد رسول الله صلى الله
يه وسلم للمتخلفين عن غزوة تبوك حيث نهى المسلمون عن مخالطتهم
حادثتهم كأنهم ليسوا منهم إلى أن تاب الله عز وجل عليهم حينما ظنوا أن
لجأ من الله إلا إليه وكانت العادة فى عصر الخلفاء الراشدين أن من تخلف
ى وجهته التى وجه إليها يشهر فى الناس حتى يعتبر المعتبرون وأول من
ب بالقتل عن التخلف عن الخروج إلى الوجهة التى أمر بها هو الحجاج
يوسف الثقفى أمير العراق فى الدولة الأموية وكانوا يقرعون بين الناس
ذا احتاجوا لعدد معين وكانت الجيوش تسير ونصر الله يكفلها وعنايته
وطها لما كان عليه الأفراد من طاعة الرؤساء وما كان عليه الأمراء من
نقياد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم الاستئثار بشىء
الفىء أو الغنيمة فليس ثم مجال للظنون التى تنزل بالرئيس والمرءوس إلى
رك الأسفل من الهوان وانظر مافعله أبو عبيد بن مسعود الثقفى أحد
اء جيش العراق حينما قدم له الفرس طعاماً خاصاً فإنه سألهم هل أطعمتم
ند مثله فقالوا لم يتيسر فامتنع من أكله وقال بئس المرء أبو عبيد إن صحب
ا استأثر عليهم بالفىء وهكذا كان غيره من الأمراء رضوان الله عليهم
عين وكان كل مسلم يعتقد أن الجهاد أول واجباته فترى طفلهم يشب وقد
د الفروسية والطعن والضرب وكان الصبيان يتسابقون إلى درج أسمائهم
لغزاة ويحزنهم إن ردوا وناهيك بما كان من رافع بن خديج وسمرة ابن
ب حينما استصغرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهما ثم أجاز
عاً لما قيل له إنه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله صلى الله

لم رافعاً وردنى مع أنى أصرعه فلما علم بذلك عليه الصلاة والسلام
المصارعة فغلب سمرة فأجازه فإذا كبر الطفل ركب الأهوال وهو
معتقداً أنه سينال إحدى الحسنيين إما ظفر بفتح وإما ظفر بشهادة
في ذلك ما أجاب به رسل سعد بن أبي وقاص رئيس جيش القادسية
ملك الفرس ورستم قائد جيشها فإذا تأملت إلى اتفاق جميعهم فى
لم ترتب فى أن أولئك قوم لهم وجهة واحـــدة يتجهون إليها فى
وأفعالهم وهى نصر دين الله وإعلاء كلمته لايبالون بما يحول دون
الأخطار أولئك قوم جاهدوا فى الله حق جهاده فمنهم مقتصد ومنهم
لخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير وفى كلام الله سبحانه وتعالى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من المحرضات على الجهاد
أقبل المسلمون عليه غير هيابين ولا وكلين لاتلهيهم الأمانى الكاذبة
عهم الأوهام .

بيت المـال

من اتخذ بيتاً المال عمر بن الخطاب وكان إيراده من زكاة المسلمين
أهل الذمة وخمس الغنائم ومواريث من ليس لهم وارث من موتى
فكان مطهراً من المظالم نقيا عما كانت الملوك تأخذه من أممها ظلما .
صاريف بيت المال فكانت الزكاة تصرف فى مصارفها التى ذكرناها
. وجزية أهل الذمة تصرف فى سبيل الله وهو معدات الجهاد
الغنائم فى مصارفه المذكورة فى الجهاد ومواريث الموتى تصرف فيما
لإمام ولم يكن للمستحقين شىء مخصوص يعطونه حتى فرض عمر
دون الدواوين لحصر أسماء الغزاة فجعل للعباس خمسة وعشرين ألف
السنة ولأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة
لأهل بدر خمسة آلاف ولنسائهم خمسمائة خمسمائة

وألحق بأهل بدر أربعة ليسوا منهم الحسن والحسين ابنى على وأبا ذر
وسلمان الفارسى ولمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف
ولنسائهم أربعمائة أربعمائة ولمن بعد الحديبية إلى أن انتهى أبو بكر من
حروب أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولنسائهم ثلاثمائة ثلاثمائة
ولمن شهد القـــادسية واليرموك ألفين ألفين ولنسائهم مائتين مائتين
ولأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة ولنسائهم كمن
قبلهم ولمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ولنسائهم كمن قبلهم وللروادف
المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثليث بعدهم ثملاثمائة ثلاثمائة وفرض
لروادف الربيع مائتين وخمسين مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل
هجر والعباد مائتين مائتين سوى كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم وعربهم
وعجمهم وللصبيان مائة مائة ولكل مسكين جريبتين فى الشهر ثم قال عمر
إنى كنت امرءاً تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا
هذا فما ترون أنه يحل لى من هذا المال؟ فقال على لك ما أصلحك وعيالك
بالمعروف ليس لك غيره فأخذ قوته واشتدت بعد ذلك حاجته فاجتمع نفر
من كبار الصحابة فيهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وقالوا لو قلنا لعمر
فى زيادة نزيده إياها فى رزقه فقال عثمان هلم فلنعلم ما عندة من وراء وراء
فأتوا أم المؤمنين حفصـــه بنت عمر فأعلموها الحال وأوصوها ألا تخبر
بهم عمر فلقيت حفصة عمر فى ذلك فغضب وقال من هؤلاء لأسوءنهم قالت
لا سبيل إلى علمهم قال أنت بينى وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد
والجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع قالت حرفاً من خبز شعير فصببنا
عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها قال فأى مبسط
يبسط عندك كان أوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه فى الصيف فإذا كان الشتاء
بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغيهم أن رسول الله صلى

وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لأضعن
مواضعها ولأتبلغن بالترجية وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة
طريقاً فمضى الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر
سبيله فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما
ا وإن سلك طريقا غير طريقهما لم يلقهما . فتأمل كيف أن عمر
ه عنه مع إقبال الدنيا على المسلمين وتغير الأحوال عما كانت فى عهد
لله صلى الله عليه وسلم لم يجد لنفسه مسوغاً أن يزيد عما كان عليه
لله صلى الله عليه وسلم بل اتبع هديه وسار بسيرته ليلقاه آمنا ،
ى الله تعالى عنه يقول أنا كوصى مال اليتيم إن استغنيت استعففت
رت أكلت بالمعروف إشارة قوله تعالى فى حق الوصى (فمن كان
ستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) وحج رضى الله عنه
رجع قال لابنه انظر كم صرفنا فنظر فإذا هو ستة عشر ديناراً
فقال عمر لقد أسرفنا يا بنى ، لاجرم أن أعزه الله ومكن له
ض .

العلم والتعليم

ت العرب أمة أمية لا تشغل نفسها بالعلم فلما أرسل الله رسوله
دين الحق نص كثيراً على فضل العلم والتعليم والتعلم قال تعالى
لعلم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال
توى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال عليه الصلاة والسلام
الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده » وقال « العلماء ورثة
ومما قاله سبحانه وتعالى فى فضل التعلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم
فقهوا فى الدين) وقال (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)
ه السلام « من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا إلى
قال « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها » ومما جاء

ى فضل التعليم قوله تعالى (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون فجعل ثمرة العلم التعليم وقال (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه معلماً لأهل اليمن لأن «يهدى الله بك رجلا واحداً خيراً من الدنيا وما فيها» وقال «نعم العطية نعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة» وقال «مثل ما بعثنى به الله عز وجل كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ» الأول مثل للمنتفع بعلمه والثانى مثل للنافع بعلمه والثالث مثل للمحروم منهما فكانت هذه الآيات القرآنية والأحاديث المحمدية حاضة للأمة الإسلامية على العلم وتعليمه وتعلمه، والعلم الذى حض الشرع على تعلمه هو الذى يوصل الإنسان إلى سعادته الأخروية والراحة فى الدنيا وها نحن نسوق لك العلوم التى كانت تعلم فى العصر الأول فنقول:

القرآن

كان أفضل ما يتعلمه المتعلمون فى العصر الأول هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لم يعرفه الإنسان كان مقلدا فى إيمانه وهذا نقص لا ينبغى لمسلم الاتصاف به ولا نعنى بتعلمه حفظه عن ظهر قلب لأن هذا لا يتيسر للكثير من أفراد الأمة بل نقصد قراءته بتدبر وتفهم ليعلم المسلم أوامره وزواجره فيقف عند حده وكان القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظاً فى صدور الحفاظ ولم يكن مجموعاً فى مصحف فلما كانت خلافة أبى بكر ومات كثير من حفاظ القرآن فى وقعة اليمامة رأى رضى الله عنه أن يجمع القرآن فى مصحف بعد أن أشار عليه بذلك عمر بن الخطاب فقال كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله

الله عليه وسلم فلم يزل به حتى شرح الله صدره لذلك فندب لهذا العمل
كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الذين جمعوا القرآن
ده صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن ثابت الأنصارى فقال كيف أفعل
م يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل به أبو بكر حتى شرح
دره لما شرح له صدر أبى بكر وعمر فقام بهذا العمل خير قيام
ه من العسب واللخاف وصدور الرجال ورتبه كما كان مرتباً فى عهد
ل الله صلى الله عليه وسلم ولما كان يكتب سورة التوبة وأتى على
تعالى (صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون) طنها آخر السورة
خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين وقال لقد أقرأنى رسول
صلى الله عليه وسلم بعدها (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
م حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ؛ فإن تولوا فقل حسبي الله
إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فكتبها وحقق الله
أبى بكر ما قاله فى سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
ون) فلما كان فى مدة عثمان ابن عفان وتفرق القراء فى الأمصار
بينهم اختلاف فى الإقراء اختلاف ألفاظ لاختلاف اللغات فرأى
ة بن ثابت أن اختلافاً كهذا بين الأمة يؤدى إلى شقاق وفساد وأنهى
إلى عثمان وحذره من سوء العقبى فرأى عثمان أن يجمع الأمة على
ف واحد بكلمة قريش فجمع ستة من كبار القراء فيهم زيد بن ثابت
هم بذلك وقال لهم إن اختلفتم فى شيء فاكتبوه بلسان قريش فكتبوا
مصاحف سيرها إلى الأمصار وأبقى واحداً عنده وهذا المصحف هو
بين أيدينا الآن وهو الذى اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
ى الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ماجازى هداة قوم
متهم وهذا الذى نقلناه فى جمع القرآن هو ما ورد فى صحيح البخارى
تقان للسيوطى .

السنة

السنة . ونعنى بها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما شرع الله من الدين قال تعالى فى سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال (وما ينطق عن الهوى) وكانت محفوظة فى صدور رواتها وكانوا يعلمونها أولادهم وخصوصاً ما يتعلق منها بالمغازى يقولون تعلموا مجد آبائكم ويعلم الله أن ذلك من أفضل التعليم للناشىء فإنه يبث فى قلبه الحمية فيشب ولا شىء أحلى عنده من اكتساب مجد يعلى قدره ويرفع ذكره ولم تدون الكتب فى الأحاديث حتى زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

الفقه

الفقه كان فى عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مراداً به كما قال الغزالى فى الإحيـــاء علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ، يدلك على ذلك قوله تعالى ﴿ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا وقال تعالى ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ وأراد به معانى الإيمان وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا ؟ بلى يارسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه قال عليه الصلاة والسلام فى ضمام بن ثعلبة الأعرابى الذى وفد عليه فآمن به وعلم أركان الدين وسلم ذلك تسليما خالصاً من شائبة نفاق أو رياء « فقه الرجل » وهو لم يعلم بعد إلا أمهات الدين أما المسائل التى اصطلح على تسميتها بالفقه فى العصر الذى بعدهم فكانت تأتى أحكامها حسب وقائعها ولم يكن فى أصحابه من تجرد لاختراع المسائل والإجابة عليها .

التوحيـد

توحيد كان عندهم عبارة عن أن يرى الموحد الأمور كلها من الله عز
ـؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر إلا
ى ذكره وكانوا يكتفون فى الاستدلال على ذات الله وصفاته بمـا
ى القرآن الشريف لا يعتدونه إلى ما سواه إذ كانوا على الفطرة لم تشب
شوائب الشك والارتياب فكانوا بعيدين عن صناعة الـكلام ومعرفة
لمجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها
الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات ، الأمور التى جعلت
موضوعا للتوحيد ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم
ى شاغل عن ذلك بنصر دين الله والاجتهاد فى تعميمه فى بقاع الأرض
منا المرحوم الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد :

د مضى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو المرجع فى الحيرة والسراج
ت الشبهة وقضى الخليفتان بعـده ما قدر لهما من العمر فى مدافعة
، وجمع كلمة الأولياء ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيـه مع
ليبتلوها بالبحث فى مبانى عقائدهم وما كان من اختلاف قليل رد
وقضى الأمر فيه بحكمهما بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر
إن كانت حاجة إلى الاستشارة وأغلب الخلاف كان فى فروع الأحكام
صول العقائد ثم كان الناس فى الزمنين يفهمون إشارات الـكتاب
سه يعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما توهم التشبيه ويرون أن له معنى
يوهمه ظاهر اللفظ اهـ :

الحـكمة التى أثنى الله عليها فى قوله ﴿ ومن يؤت الحـكمة فقد أوتى
كثيرا ﴾ والتى أثنى عليها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فى قولة
ن الحـكمة يتعلمها لرجل خير من الدنيا وما فيها ، والتى حض عليه

السلام على البحث عنها فى قوله الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أن وجدها ، فقد كانت منتشرة بين الصحابة وورد عن كثير منهم حكم لا يحصيها العد تهذب النفس وتحي القلب وأكثرهم فى ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وها نحن نسوق لك شذرات منها مما نقلناه من الجزء الثانى من الكتاب المرسوم بنهج البلاغة قال رضى الله عنه ، البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلدته والعجز آفه والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة ، نعم القرين الرضى والعلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية ، وقال صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبل المودة والاحتمال قبر العيوب ، وقال ، إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه ، وقال إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ، وقال ، إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر ، وقال من جرى فى عنان أمله عثر بأجله ، وقال ، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ويروى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ، من كفارات الذنوب العظام إعانة الملهوف التنفيس عن المكروب ، وقال يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره ، وقال ، الحذر فو الله لقد ستر حتى كأنه غفر ، وقال ، فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه ، وقال ، كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً وقال ، من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون ، وقال ، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عنه الله ، ، وقال ، احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع ، وقال ، أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وقال ، القناعة مال لا ينفد ، وقال ، اللسان سبع إن خلى عنه عقر ، وقال ، فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها ، وقال ، لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه ، وقال

ا تم العقل نقص الكلام ، وقال « من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ
يم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم
ه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ، وقال « قيمة كل
ىء ما يحسنه ، وقال « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت
 أهلا : لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحين
 إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء
يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير
جسد بغير رأس ولا فى إيمان لا صبر معه ، وقال « من أصلح ما بينه
 الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له
 دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ ، وقال
قلوا الخير عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ولكن رعاته
 ، وقال « لايترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح
عليهم ما هو أضر منه ، وقال « إضاعة الفرصة غصة ، وقال « عجبت
بل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى إياه طلب فيعيش
لدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء وعجبت للمتكبر
 كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى
 الله وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن أنكر النشأة
خرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء ،
 « لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته
اته ، وقال « تنزل المعونة على قدر المؤنة ، وقال « المرء مخبوء تحت
ه ، وقال « لايعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان ، وقال « الراضى
 قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل فى باطل إثمان إثم العمل به وإثم
ى به ، وقال « من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها فى
لها ، وقال « من كتم سره كانت الخيرة بيده ، وقال « الإعجاب يمنع من

الازدياد ، وقال « الناس أعداء ما جهلوا » وقال « ازجر المسيء بثواب المحسن » وقال « الطمع رق مؤبد » وقال « من أبدى صفحته للحق هلك » وقال « لم يذهب من مالك ما وعظك » وقال « لا يزهدنك فى المعروف من لا يشكر لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع به وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين » وقال « بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » وقال « من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه » وقال « الكرم أعطف من الرحم » « من ظن بك خيرا فصدق ظنه » وقال « الحدة ضرب من الجنون فإن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم » .

وهذا قليل من كثير أوردناه لك لتعلم ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقوالهم وأفعالهم فتعز باتباعهم إن كان لك فى العز حاجة .

وهذه العلوم التى كانت فى العصر الأول مشغلة للمعلمين والمتعلمين لا يعرفها إلا مسلم ولا يتركها إلا منافق وهى التى بها صلاح الأمة فى الدين والدنيا وقد بقيت علوم كفايات لم يتركها المسلمون بل اشتغلوا بها لصلاح الدنيا ولا بأس أن نذكر لك بعضها لتعلم كيف كان شغلهم بها .

الكتابة

كانت الكتابة فى صدر الإسلام قليلة جداً لأمية العرب ولكنها أخذت فى الانتشار حينما حض على تعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء شيوعها لما جعل عليه السلام فداء بعض الأسرى فى بدر أن يعلم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب كثيرون لكتابة الوحى والمراسلات أشهرهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم وفى مدة الشيخين شاعت الكتابة أكثر .

لغات الأعاجم

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرانية
اليهود ليكون بينه وبينهم وليكتب لهم عنه عليه السلام ما يريد أن
يه فلا بأس أن يكون فى الأمة من يعرف اللغات الأعجمية متى كان
ك احتياج إلى ذلك وكان فى الصحابة كثير من عرف لغة الفرس
وم وغيرهم .

الطب

كان الطب مشتهراً بين العرب وله قوم مخصوصون اتخذوه حرفة من
رهم الحارث بن كلدة وقد انتدبه عليه السلام ليداوى مرضا ألم بسعد بن
وقاص وبعث عليه السلام إلى أبى بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم
عليه . رواه مسلم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث فى الحث
تعلم الطب منها « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برىء بإذن الله »
هذا الحديث حث على معرفة طبائع العقاقير وتشخيص الداء حتى يجعل
ل داء دواءه . وورد عنه عليه السلام أحاديث فى الطب منها « الحمى من
جهنم فأبردوها بالماء » رواه مسلم ومنها - أو هو أثر - « المعدة بيت
ء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة » ويعجبنى هنا ما ذكره
الى فى الإحياء تنديداً بطلاب العلم الذين جعلوا دأبهم الاشتغال بفروع
ه الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج لشىء منها ويهملون ما عدا ذلك
الكفايات قال رحمه الله) فكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة
تجوز شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً
فل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد
حون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى

يف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة
إهمال مالا قائم به هل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول
لى تولى الأوقاف والوصايا حيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة
التقدم على الأقران والتسلط به على الأعداء) ونحمد الله أن أوجد من
ير الفقهاء من يسد هذه الثلمة فى الأمة فقام بتعلم الطب وإفادة الناس منه
ومن هنا يعلم أن الأمة فى العصر الأول لم تكن تخلو من قائم بالكفايات
ى عليها مدار العمارية والتقدم كالحساب أو الهندسة وغير ذلك . وإلى هنا
نتهى ما أردنا إيراده من نظامات الإسلام وبقيت فى النفس بقية نذكر
يها معاملة المسلمين لبعضهم فى العصر الأول إذ هذا هو الذى تدور عليه
سعادة الأمة وشقاوتها وبه عزها وذلها فاسمع وافقه ألهمنى الله وإياك الرشد
ال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
ألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة
كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متآخين فى الله متحابين وكانت
لأخوة بينهم فى أعلى درجاتها وهو الإيثار على النفس قال الله تعالى فى وصف
لأنصار ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم
ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
هم خصاصة ﴾ فكان الرجل منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملا بقوله
عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » فلا يغشه لئلا
يدخل تحت قوله عليه السلام « من غشنا فليس منا » ولا يكذب عليه إذا
حدثه ولا يخلفه إذا وعده ولا يخونه إذا ائتمنه لئلا يكون منافقاً ، قال عليه
السلام « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن
خان » وفى حديث آخر « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان وإذا
حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولا يقصر فى معاونته امتثالا

عالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ ولا يسخر منه ولا يلمزه
زه بالألقاب ولا يظن به الظنون ولا يتجسس عليه ولا يغتابه قال تعالى
ا الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم
ء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا
ب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ٭
لذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا
، بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه
الله إن الله تواب رحيم ﴾ وقال عليه السلام « إياكم والظن فإن الظن
الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا
ضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال « لا تحاسدوا
جشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
ا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ،
هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من البشر أن
خاه المسلم وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقال
ضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا
ل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاثة » ولا ينم عليه لئلا يحرم الجنة
يه السلام « لا يدخل الجنة نمام » ولا يسبه لئلا يفسق قال عليه الصلاة
م « سباب المؤمن فسوق » ولا يجرد فى وجهه سيفاً لئلا تكون عاقبته
ل عليه السلام « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار
سول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « إنه كان حريصاً على قتل
» وقال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً
ضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ﴾ ولا يترفع عليه لضعة
ء أو قلة فى ماله قال عليه السلام فى حجة الوداع « أيها الناس كلكم
آدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى إن أكرمكم عند

أتقاكم ، ولا يعامله بالربا ، كيف وقد نهى الله تعالى عنه أشد نهى فقال
له الحق ﴿ الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه
طان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد
ئك أصحاب النار هم فيها خالدون ٭ يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله
ب كل كفار أثيم ٭ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة
وا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ٭ يا أيها
ن آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين ٭ فإن لم تفعلوا
وا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون
ظلمون ٭ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم
كنتم تعلمون ٭ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس
سبت وهم لايظلمون ﴾ فليتدبر هذا النهى أولو النهى من المسلمين ليعرفوا
آلت حالهم إلى ماهم عليه الآن . وكان المسلم يرى أن من دينه نصيحة
قال عليه السلام « الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله ؟ قال لله
سوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » ويمنع عنه أذى يده ولسانه قال عليه
لام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله
وكان الحياء من شعارهم قال عليه السلام « الحياء من الإيمان »
ون الطعام ويقرءون السلام قال عليه السلام وقد سئل أى الأعمال
« تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » يحبون
رسوله أكثر من الأموال والأولاد قال عليه السلام « ثلاث من كنّ
جد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن
المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف
ار » ومن المعلوم أن المحبة ليست شقشقة اللسان إنما هى الطاعة فى
وال والأفعال قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

لكم ذنوبكم ﴾ وآداب الإسلام التى كان المسلمون يتمسكون بها فى
الأول لانمل من أن نذكر لك بعضاً منها ليكون لك من نفسك زاجر
سبحانه ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال
ه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب
صلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء
اء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقال
أكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من
الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ وقال ﴿ ولاتعتدوا إن الله لايحب
ن ﴾ وقال ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين
بين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به
وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا
الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ٭ ولستم بآخذيه إلا أن
فيه واعلموا أن الله غنى حميد ﴾ وقال ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله
ن خبير ﴾ وقال وهى من أهم مايجب على المسلمين تنفيذه ﴿ ولتكن
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
حون ٭ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم
٭ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ وقال ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به
لوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى
الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله
ن كان مختالا فخوراً ﴾ وقال ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
ا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن
سميعاً بصيرا ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

اء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين
وا أوفوا بالعقود ﴾ وقال ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا
لوا هو أقرب للتقوى ﴾ وقال ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن
قكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس
حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ٭ ولا تقربوا مال
م إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
كلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا
كم وصاكم به لعلكم تذكرون ٭ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
ل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقال ﴿ إن الله
ر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
غى يعظكم لعلكم تذكرون ٭ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
يمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾
ل ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك
كبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٭
خفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ٭
كم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ٭
ت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ٭ إن المبذرين
نوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ٭ وإما تعرضن عنهم
غاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ٭ ولا تجعل يدك
لولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ٭ إن ربك
ط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بعباده خبيراً بصيرا ٭ ولا تقتلوا أولادكم
شية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا
ه كان فاحشة وساء سبيلا ٭ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق

مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان
. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده .
بالعهد إن العهـــد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا
س المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به
سمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش
ض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك
عنـــد ربك مكروها) وقال (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم
م خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة
والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت
فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ،
م لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ،
ك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)
وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم
ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى
اشكرلى ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى
ك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل
إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بنى إنها إن تك
ة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت
الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن
اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر
س ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ،
مشيك واغضض فى صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)
(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)
أردنا استقصاء الآداب الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم

السنة المطهرة لاحتجنا إلى مجلدات ولكننا أردنا بما ذكرنا أمرين : الأول
أنا ذكرنا لك أمهات الفضائل التي كان المسلمون في العصر الأول متخلقين
بها ، والثاني إنا لفتنا نظرك أيها المسلم لمذاكرة القرآن لتعرف ما احتوى
عليه من الآداب والحكم فتقف عند ما حده لك ومذاكرة السنة المطهرة
الهادية ولا تكن ممن يضعها في بيته تبركا بأوراقها ونقوشها ، والله الهادي
إلى الصراط المستقيم .

مقتل عمـــر

لم يصب المسلمون في العصر الأول بمصيبة بعد وفاة رسول الله صلى الله
وسلم اعظم من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : جنى عليه
غلام مجوسي اسمه أبو لؤلؤة كان للمغيرة بن شعبة وها نحن نسوق لك مارواه
البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون في هذا المصاب الجلل قال عمرو
إني لواقف ما بيني وبينه (عمر) إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان
إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما
قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس
فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة
فسار العلج بسكين ذا طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالا إلا طعنه حتى
طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين
طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول (عمر) يد
عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي
المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان
الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا
قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعه ثم جاء فقال غلام المغيرة قال

ل نعم فقال قاتله الله لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذى لم يجعل
رجل يدعى الإسلام وقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثرا العلوج
وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال إن شئت فعلت أى إن شئت قتلنا
ت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل
فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول
عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جرفه ثم
فشربه فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس
ليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ثم
دلت ثم شهادة قال وددت أن ذاك كفاف لا على ولا لى فلما أدبر
يمس الأرض قال ردوا الغلام قال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه
ك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدين فحسبوه
ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال إن وفى بذلك مال آل عمر فأده من
م وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل
ولا تعدهم إلى غيرهم فأدّنى هذا المال . انطلق إلى عائشة أم
قل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم
أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم
ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن
سلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى
به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال
سنده رجل إليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين
الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك فإذا قضيت فاحملونى ثم سلم
ن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلونى وإن ردتنى فردونى إلى
مين وجاءت أم المؤمنين حفصة (بنت عمر) والنساء تسير معها

ا رأيناها قمنا فولجت عليه داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا
رص يا أمير المؤمنين استخلف فقال كما ورد فى رواية مسلم « أتحمل أمركم
يا وميتا لوددت أنى أحظى منها من الكفاف لا على ولا لى وإن استخلف
د استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو
ى - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن عمر فعرفت أنه -
ين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - غير مستخلف ثم قال عمر ما أجد
حق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله
ليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وسعدا وطلحة
عبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله ابن عمر وليس له من الأمر
ى ء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به
يكم ما أمر فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى
المهاجرين الأولين أن يدفع لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه
الأنصار خيراً الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم
أن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام
جباة المال وغيظ العدو وألا يأخذ عنهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه
بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الاسلام أن يأخذ من حواشى
أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم فلما
قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر
ابن الخطاب قال ادخلوا فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه . وهناك قال على
رضى الله عنه كما فى رواية البخارى عن ابن عباس (رحمك الله إن كنت
لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيراً ما كنت أسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر
وانطلقت وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما) فلما فرغ

نه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم
لاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على وقال طلحة قد جعلت
إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف فقال
رحمن (لعثمان وعلى) أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه
لام لينظرن إلى أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن
ونه إلى الله على أن لا آلو عن أفضلكم قال نعم فأخذ بيد أحدهما
) فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام
علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن
ن ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك
ن فبايعه وبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه ولما تمت البيعة صعد
المنبر فخطبهم فقال (الحمد لله ، أيها الناس اتقوا الله إن الدنيا كما أخبر
ها : لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد
يث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى
رة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع
ر) فخير العباد فيها من عصم بالله واستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت
ركم بعظيم لا أرجو العون عليه إلا من الله ولا يوفق للخير إلا الله
فيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) ثم نزل .

ترجمة عثمان

وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ولد فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة حييا عفيفاً ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان عثمان من السابقين إلى الإسلام على يد الصديق رضى الله عنه وزوجه عليه السلام بنته رقية فلما آذى المشركون المسلمين هاجر رضى الله عنه مع زوجه إلى بلاد الحبشة ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة فلما أذن الله بها هاجر إليها هو وزوجه وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهده ولكنه لم يحضر بدراً لشغله بتمريض زوجه التى ماتت عقب انتصار المسلمين فيها وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنيمتها ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان ممن عفا الله عنهم فى أحد وكان فى عمرة الحديبية سفيراً بين رسول الله صلى الله عليه وبين قريش فلما شاع غدرهم بعثمان بايع النبى أصحابه بيعة الرضوان وقال بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان وكان له فى جيش العسرة إلى تبوك اليد الطولى فقد أنفق من ماله أكثر مما جاد به غيره واشترى بئر رومة بماله ثم تصدق بها على المسلمين فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم وقد قال عليه السلام «من حفر بئر رومة فله الجنة» ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للخليفتين من بعده عاملا أمينا . ولما أصيب المسلمون بقتل عمر كانت أغلبية الشورى له فقام بأمر الخلافة خير قيام إلا أن فى آخر مدته تغير بعض المسلمين عما كانوا عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين من بعده ودبت إليهم الدنيا بحبها وهو رأس كل خطيئة فقام عليه جماعة

انهم فشتتوا شمل المسلمين بشق عصا الطاعة حتى تداعت أركان الخلافة
ظلماً رضى الله عنه وقد جاوز الثمانين من عمره وكان رجــلا ليس
يل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدرى . كبير
عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم مابين المنكبين
لحيته وله من الأولاد عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمرو
وأبان وعمر ومريم والوليد وسعيد وأم سعيد وعبد الملك وعائشة
ان وأم عمرو ومريم وعنبسة وأم البنين .

أعماله فى خلافته

فى الكوفة

ى بدء خلافته استعمل سعد بن أبى وقاص على الكوفة عملا بوصية
كان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فأقام سعد فى إمارة الكوفة
م عزله عثمان لخلاف وقع بينه وبين عبد الله بن مسعود ، سببه أن
اقترض من عبد الله مالا فلما تقاضاه إياه لم يجد له سعد أداء فطلب
أجيل فلم يقبل وحصل بينهما فى ذلك نزاع فتعصب لهذا قوم ولذاك
ن وكان هذا أول شقاق حصل بين أهل الكوفة فغضب لذلك أمير
ين عثمان وعزل سعدا وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى
بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عثمان وعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان
ت تابعة لولاية الكوفة فانتقض أهلها فغزاهم الوليد فأغار على أهل
والبير والطيلسان ففتح وغنم ثم طلب أهل كور أذربيجان الصلح
هم على صلح حذيفة وهو ثمانمائة ألف درهم (ثم) سير سلمان بن ربيعة
إلى أهل أرمينية فى اثنى عشر ألفاً فشتت شملهم ورجع إلى الوليد
م فرجع الوليد من طريق الموصل فلما أتى المدينة جاءه وهو بها

كتاب من عثمان يأمره أن يمد أهل الشام بجيش يقوده رجل ذو نجدة فندب الناس مع سلمان بن ربيعة الباهلى فانتدب له ثمانية آلاف سيرهم معه وأقام الوليد واليا على الكوفة خمس سنين فى نهايتها اتهمه جماعة من أهل الكوفة بأنه شرب الخمر وشهدوا بذلك عند عثمان فعزله عن إمارتها وجلده حـــد الشارب أربعين جلدة كما أفتى بذلك على بن أبى طالب وولى مكانه سعيد ابن العاص فلما وصل الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : والله لقد بعثت إليكم وإنى لكاره ولكنى لم أجد بدا إذا أمرت أن أأتمر ، ألا وإن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينها ووالله لأضربن وجها أو تعييني وإنى لرائد نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حالهم وكتب إلى عثمان إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على أهل الشرف والبيوتات منهم والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذى شرف أو بلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب إليه عثمان (أما بعد ففضل أهل السابقة والقدم ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوه وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس يصاب بها العدل) فأرسل سعيد إلى أهل القادسية والأيام فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبي عن الجسد فأبلغونا حاجة ذوى الحاجة وأدخل معهم من يحتاج إليه من اللواحق والروادف وجعل القراء فى سمره ففشت القالة فى الكوفة بالقدح فى ولاة عثمان وفيه لتوليته إياهم فكتب سعيد إلى عثمان فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه فقالوا أصبت لا تطمعهم فيما ليس له له أهل فإنه إذا نهض فى الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت إليكم الفتن وإنى والله لأتخلصن الذى لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم حتى يأتى من شهد مع أهل العراق سهمه فيقيم معه فى بلاده فقالوا كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرضين

يبيعها من شاء بما كان له فى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد ففرحوا
الله عليهم أمرا لم يكن فى حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل
وجاز لهم عن تراض : وفى عهد سعيد بن العاص فتحت طبرستان سار
ومعه الحسن والحسين ابنا على وابن عباس وابن عمر وابن العاص
الزبير وحذيفة بن اليمان وغيرهم من كبار الصحابة فقاتل أهلها ثم
ا الصلح فصالحهم وكان ذلك فى السنة الثلاثين ثم سار سعيد وحذيفة
يمان لإمداد عبد الرحمن بن ربيعة الذى كان بالباب فلما بلغا أذربيجان
سعيد حذيفة وأقام هو رداء له فسار حذيفة وغزا مع عبد الرحمن ثم
إلى سعيد فصبحه بالكوفة . وفى السنة الثانية والثلاثين غزا عبدالرحمن
ربيعة الترك ثالث مرة وأوغل فى سيره فتجمع عليه الترك والخزر
ه قتالا شديداً حتى قتل فتفرق جيشه فرقتين فرقة سارت نحو الباب
ت بسليمان بن ربيعة الباهلى أخى عبد الرحمن الذى سيره سعيد مددا
ه فنجوا معه وفرقة سارت نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسى
هريرة الدوسى واستعمل سعيد مكان عبد الرحمن أخاه سليمان على
الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم أمير
نين عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سليمان
ربيعة وامتنع حبيب أن يكون تحت إمرته حتى قال أهل الشام ولقد
أن نضرب سليمان فقال الكوفيون إذا نضرب حبيباً ونحبسه وإن
كثرت القتلى فينا وفيكم وكان هذا أول شقاق حصل بين الكوفيين
ميين ودبت البغضاء بينهم بسبب التنافس فى الرياسة ولا حول ولا قوة
لله العلى العظيم ، وفى السنة الثالثة والثلاثين حصل بالكوفة ما ينبىء
رها من دون إلى أدنى فى الشقاق والتنازع لأن نزالهـــا من أصحاب
ل الله صلى الله عليه وسلم قليلون وأهل السابقة والفضل من أهلها وزعمهم
ولاة على كور الكوفة من بلاد فارس وكان يجلس إلى سعيد كثير من

الكوفة للسمر فكانوا يتذاكرون وقائعهم وحوادثهم وأدى ذلك إلى
جرة بعضهم بعضا واستخفوا بصاحب الشرطة لما نهاهم عن ذلك التنازع
أنهم ضربوه فطردهم سعيد من السمر عنده فابتعدوا وأقاموا فى مجالس
لا هم لهم إلا الوقيعة بسعيد ومن ولاه فكتب إلى أمير المؤمنين عثمان
هم فكتب إليه أن يحمل رؤساهم إلى معاوية بالشام وكتب إلى معاوية
نفراً خلقوا للفتنة فأقم عليهم وأنههم فإن آنست منهم رشداً فاقبل وإن
وك فارددهم على فلما قدموا على معاوية أكرمهم وأحسن وفادتهم وأجرى
م أرزاقهم كما كانوا بالعراق فلم تزدهم النعمة إلا بطراً واستخفوا بمعاوية
ترضوا على ولايته فقال لهم إنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
وماً فولانى وأدخلنى فى أمره ثم استخلف أبو بكر فولانى ثم استخلف
فولانى ثم استخلف عثمان فولانى ولم يولنى أحد إلا وهو عنى راض
ما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمال أهل الجزاء من المؤمنين
غناء وإن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تتعرضن لأمر
تم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم
يدى للناس سرائركم ؟ ولما رآهم ممن ضلوا على علم فلم تفدهم النصيحة كتب
عثمان بخبرهم فأرسل إليه أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
ص فلما وصلوا إليه دعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد
ع الشيطان محسورا أأنتم بعـــد فى نشاط خسر والله عبد الرحمن إن لم
دبكم يا معشر من لا أدرى أعرب هم أم عجم لا تقولوا لى ما بلغنى أنكم قلتم
اوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات أنا ابن فاقىء عين الردة
لله يافلان لئن بلغنى أن أحداً ممن معى دق عنك ثم غمصك لأطيرن بكم
رة بعيدة المهوى فأقامهم شهراً كلما ركب أمشاهم خلفه حتى قالوا نتوب
الله أقلنا أقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم (ثم) إن
عيد بن العاص أمير الكوفة رحل إلى أمير المؤمنين فى أمور تخص ولايته

لف على عمله عمرو بن حريث فقام جماعة من أهل الكوفة كرهوا
سعيد واتفقوا على التوجه إلى عثمان واستعفائه منه وكاتبوا من عند
رحمن بن خالد فساروا إليهم وخرج الجميع لذلك فقابلهم سعيد فى
ن راجعا فأخبروه خبره فقال كان يكفيكم أن ترسلوا لعثمان رجلا
جلا ثم رجع إلى عثمان وأخبره بذلك وقال إنهم يريدون البدل بى
ن أبا موسى فولاه عثمان عليهم وكتب إليهم (أما بعد فقد أمرت
من اخترتم وأعفيتكم من سعيد ووالله لأقرضنكم غرضى ولأبذلن
صبرى ولأستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى فيه
لا استعفيتم منه أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لايكون لكم على الله حجة
رن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون) ثم جاء أبوموسى ودخل الكوفة
ب أهلها وأمرهم بلزوم الجماعة ولم يزل والياً عليها حتى مات عثمان
الله عنه .

فى البصرة

كان والى البصرة أول خلافة عثمان أبو موسى الأشعرى فأقام فيها إلى
التاسعة والعشرين ثم عزله عثمان وولى بدله عبد الله بن عامر بن كريز
ربيعة بن عبد شمس وجمع له جند أبى موسى وجند عثمان بن أبى العاص
من عمان والبحرين (وفى) عهده انتقض أهل فارس بأميرهم عبيدالله
عمر فسار إليهم عبيد الله ولاقاهم على باب اصطخر فقتل وانهزم من
ولما بلغ ذلك ابن عامر سار إليهم بجيش كثيف فقاتلهم قتالا شديداً
هزمهم وفتح اصطخر عنوة وأتى دار ابجرد وقد غدر أهلها ففتحها
ه وهو هناك أن أهل اصطخر عادوا إلى غدرهم فرجع إليهم وفتحها
مرة وقتل كثيرا من وجوه أهلها ثم وطىء أهل فارس وطأة لم يزالو
فى ذل (وفى) عهده قتل يزدجرد ملك الفرس وهو آخر ملوكهم

الأخبار مضطربة فى كيفية قتله إلا أنهم اتفقوا على أنه قتل وحيداً طريداً
يغن عنه هذا الملك الواسع شيئاً واتفقوا على أنه قتل بيد أعجمية وكان
تمنى إذ ذاك أن لو كان وقع فى يد العرب المسلمين فإنهم كانوا يبقون عليه
يعيش منعما فى ظل الإسلام الظليل ولكن أنى له ذلك والشقاء متى غلب
لا يرد ؟ (وفى) السنة الحادية والثلاثين سار عبدالله بن عامر لفتح خراسان
تى انتقض أهلها بعد موت عمر فلما وصل الطبسين وهما بابا خراسان تلقاه
أهلها بالصلح فسار إلى قهستان فلقى أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم
لما أقبل على المدينة طلب أهلها الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم ثم
صد نيسابور فصالحه أهلها على ألف ألف درهم ثم وجه الأحنف بن قيس
لى طخارستان ثم إلى مرو الروز فلقيه جمع كثير من جموع المشركين
هزمهم ووجه الأقرع بن حابس التميمى إلى جمع من الفرس بالجوزجان
وصاه هو وقومه فقال (يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تصلح أموركم وأبدأوا
جهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم)
سار القوم حتى لقوا الأعداء فهزموهم ثم فتح الأحنف الطالقان صلحا
وسار إلى بلخ فصالحه أهلها على أربعمائة ألف درهم ثم سار إلى خوارزم
لم يتمكن من فتحها فعاد عنها (ثم) رجع ابن عامر بعد أن فتح هذه البلاد
لعظيمة مرة ثانية فقيل له ما فتح الله على أحد مثل ما فتح عليك فارس
كرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لأجعلن شكرى لله على ذلك
ن أخرج معتمراً من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور (وبعد ثلاث
سنين من إمارة ابن عامر بالبصرة بلغه أن رجلا نزل على حكيم بن جبلة
عبدى وله آراء غير مقبولة فطلبه بن عامر فسأله من أنت فقال رجل من
هل الكتاب رغبت فى الإسلام وفى جوارك فقال ما يبلغنى ذلك أخرج
نى فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فأتى الحجاز والشام فأخرج منهما
أتى مصر فعشش فيها ثم باض وفرخ وكان هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ

وداء وهى أمه كان يهودياً ثم أظهر إسلامه مع ضمير خبيث وكانت
فاسدة منها أنه كان يقول عجبت ممن يصدق برجوع المسيح ولا يصدق
محمد وكان هذا ابتداء القول بالرجعة وكان يقول إن علياً وصى محمد
سبه من ولى قبله حقه فالواجب على المسلمين أن يقوموا لإعادة الحق
. وقد تبع مذهبه كثير ممن طاشت أحلامهم فكان هذا من ضمن
ب التى أدت إلى عشق عصا الطاعة وافتراق الأمة الإسلامية التى
ا إلا الاجتماع والاتحاد ولا يضرها إلا الافتراق والاختلاف .

فى الشام

أول ولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان جمع الشام كله لمعاوية
سفيان بن حرب بن أمية وفى السنة الثانية من ولاية عثمان غزا
الروم فبلغ عمورية ووجد الحصون التى بين طرطوس وأنطاكية
جعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة ثم رجع وأغزى
يزيد بن الحر العبسى ففعل مثل معاوية وفى هـــذه السنة أمره
ؤمنين أن يغزى حبيب بن مسلمة أرمينية فوجهه إليها فأتى قاليقلا
رها وضيق على أهلها فطلبوا الصلح على الجلاء لمن أراد والجزية على
فأجابهم وأقام حبيب بها شهراً ثم بلغه أن بطريق أرمينيا قس قد
حربه فى ثمانين ألفاً وأرسل إلى عثمان بالخبر فبعث إلى الوليد بن عقبة
كوفة أن يمده فأمده بسليمان بن ربيعة فى ثمانية آلاف كما قدمنا وأجمع
ومن معه رأيهم على تبييت الروم فسمعته امرأته أم عبدالله بنت يزيد
فقالت أين موعدك غداً فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل منهم
عظيمة ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه فكانت أول امرأة
ضرب عليها حجاب سرادق ثم عاد حبيب إلى قاليقلا ثم سار منها
ربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب الصلح الذى كتبه له عياض بن غنم

لأمان فأجراه عليه ثم سار فلقيه صاحب مكس وهى من السفرجان فقاطعه
لى بلاده ثم سار إلى ازدشاط فحاصرها ثم صالح أهلها ثم أتى إليه بطريق
سفرجان فصالحه على جميع بلاده ثم سار إلى تفليس ففتحها وسار سليمان
ن ربيعة إلى أران ففتح البيلقان صلحاً على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم
حيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية على الرءوس والخراج على الأرض
أتى مدينة برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر بينه وبينها فرسخ فقاتله
لها أياماً ثم صالحوه وفتح رساتيق البلاد ودعا أكراد البلاشجان إلى
لإسلام فأبوا فقاتلهم وظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية ودفع بعضهم
كاة وهم قليل ثم سار إلى سمكور ففتحها ثم خربت بعد ثم عمرت فى زمن
توكل على الله العباسى وسميت المتوكلية ثم صالح جميع سكان البلاد التى
الك ورجع (وفى) السنة الثامنة والعشرين فتح معاوية جزيرة قبرص
غزا معه كثير من كبار الصحابة فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ومعه
وجه أم حرام بنت ملحان التى أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها
أول من يغزو فى البحر (روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله
لى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت
حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ
هو يضحك قالت فقلت مايضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا
لى غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك
لى الأسرة (يشك أيهما قال) قالت فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى
هم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت
يضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله
قال فى الأولى قالت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال أنت من
لأولين . وكان معهم أبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية كثيراً

غزو الروم فى البحر زمن عمر بن الخطاب فلا يأذن له لأن فيه غرراً
ين ولما كان زمن عثمان أذن وقال لاتنتخب الناس ولاتقرع بينهم فمن
الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ففعل وسار من الشام إلى قبرص وأمده
صر عبد الله بن سعد بنفسه فاجتمعا عليها فصالحهم أهلها على سبعة
كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها لايمنعهم المسلمون من ذلك وليس
سلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم وعليهم أن يعلموا المسلمين بمسير
من الروم إليهم ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم وفى هـــذه
ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية سابقة الذكر ألقتها بغلتها
ة قبرص فماتت (واستعمل) معاوية على غزو البحر عبد الله بن قيس
فغزا خمسين غزوة من بين صائفة وشاتية فى البر والبحر ولم يغرق
ن جيشه ولم ينكب ثم خرج مرة فى قارب طليعة فانتهى لمرفأ من
فنذروا به فجاءوا فقتلوه (وفى السنة الثلاثين شكا معاوية أبا ذر لعثمان
مذهب أبى ذر أن المسلم لاينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت
ليلة أو شىء ينفقه فى سبيل الله أو يعده للتكريم) مستدلا بقوله
(والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
رهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) ويميل إلى هذا
مذهب الاشتراكيين الآن فكان أبو ذر رحمه الله يقوم بالشام ويقول
الأغنياء واســـوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة
قونها فى سبيل الله بمكاو من النار تكوى بها جباههم وجنوبهم
رهم حتى أولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء فشكا الأغنياء
نه من معاوية فكتب فى شأنه إلى عثمان فأرسل إليه أن سيره إلى فلما
دينة ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء
مذكار ولما دخل على عثمان قال له ما لأهل الشام يشكون ذرب

لك فأخبره فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وأن أدعوا الرعية إلى
جتهاد والاقتصاد وما على أن أجبرهم على الزهد . فقال أبو ذر لاترضوا
الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا
ابات ثم طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج من المدينة فإن رسول الله
الله عليه وسلم أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعاً فسيره إلى الربذة فبنى بها
جداً وأقطعه عثمان قطعة من الإبل وأجرى عليه العطاء فأقام أبو ذر
داً حتى أدركه الأجل المحتوم .

فى مصر

كان عامل مصر فى أول خلافة عثمان (فاتحها) عمرو بن العاص وفى
ة الثانية من خلافته كاتب الروم بالقسطنطينية إخوانهم بالإسكندرية
ين إلى نقض الصلح فأجابوهم إلى ذلك . أما المقوقس فكان رجلا شريفاً
ن عهده فسار إلى الإسكندرية فى جمع عظيم من الروم فأرسوا بها .
ا بلغ ذلك عمرا سار إليهم وسار الروم إليه فاقتتل الفريقان بين مصر
إسكندرية حتى انهزم الروم وتبعهم المسلمون حتى أدخلوهم الاسكندرية
لوا منهم فى البلد مقتلة عظيمه وهدم عمرو سور المدينة (وفى) هذه
ة سير عمرو عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى أطراف أفريقية
واحلها الشمالية من طرابلس إلى طنجة) غازيا بأمر عثمان ففتح وغنم
ا عاد استأذن عثمان فى الغزو ثانية فأذن له وقال إن فتح الله عليك فلك
ن الخمس نفلا وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
الحارث على جند وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد فخرجوا حتى
وا أرض مصر ووطئوا أرض أفريقية وكانوا فى جيش كثير فيه عشرة
ف من شجعان المسلمين فصالحهم ملك أفريقية على مال يؤدونه ولم
غلوا فى أفريقية لكثرة أهلها فعاد عبد الله بن سعد إلى مصر فولاه

اجها وجعل عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا لجمع لابن سعد
والجند وعزل بن العاص وعند ذلك استشار بن سعد عثمان فى
يقية والاستكثار لها من الجند فجهز إليه الجيوش من المدينة فسار
إلى أفريقية وكان ملكها من قبل الروم واسمه جرجير وملكه من
إلى طنجة وكان يؤدى أتاوة إلى ملك الروم فلما بلغه خروج
جهز لهم والتقى بهم بمكان بينه وبين سبيطلة عاصمة الملك يوم
. أن راسله عبد الله يدعوه إلى الإسلام أو دفع الجزاء فأبى ودام
بهم أياما يقتتلون كل يوم إلى الظهر ثم يعودون وكان خبر المسلمين
على عثمان فأمدهم بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير فلما وصلهم أشار
عد أن يقسم الجيش قسمين قسم يقاتل إلى الظاهر ثم يخلفه الآخر
المشركون فاتبع مشورته وأخرج القسم الأول فحارب إلى الظهر
ركون ترك القتال فلم يمكنهم المسلمون بل استمر القتال بالقسم
ضعف المشركون وانهزموا شر هزيمة وقتل جرجير ملك أفريقية
الله بن الزبير وفتحت المدينة (ثم) بث السرايا فبلغت قفصة
غنمت وسير سرية إلى حصن الأجم فحاصرته ثم فتحته صلحا ثم
سعد أهل أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار وأرسل إلى
بارة والأخماس وعاد هو من أفريقية وكان مقامه فيها سنة وثلاثة
ا وصل خمس مغنم أفريقية إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم
منه عثمان ثمنه وولى على أفريقية عبد الله بن نافع بن عبد القيس
سعد على مصر فقط .

القسم الثانى من الكتاب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الفتن على أمته وكثيراً ما كان
يحذرهم منها لأن بأس الأمة متى انتقل من أعدائها إلى أنفسها ساءت حالها
وفسد نظامها وصارت إلى الفوضى أقرب منها إلى الإصلاح وقد ورد عن
المصطفى صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث فى التحذير منها ولكن قدر
فكان استكمل الفتح للأمة واستكمل الملك ونزل العرب بالأمصار على
حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان
المختصون بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهتدون بهديه وآدابه
المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من
غيرهم وأما سائر العرب من بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد
وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلا قليلا
منهم وكان لهم فى الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به
فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه
من الذهول والدهش لأمر النبوة ونزول الوحى وتنزل الملائكة فلما انحسر
ذلك الباب وتنوسى الحال بعض الشىء وذل العدو واستفحل الملك كانت
عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمجاهدين والأنصار من
قريش وسواهم فأنفت نفوسهم ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهرون
الطعن على ولاته بالأمصار والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات والتجنى
بسؤال الاستبدال منهم والعزل ويفيضون فى التكير على عثمان وكان رأس
هذه الفتنة ذلك الرجل اليهودى الذى قدمنا ذكره المسمى عبد الله بن سبأ .

قام بالدعوة لعلى بن أبى طالب زاعماً أنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن أظلم ممن لم يجز وصيته فتبع مذهبه كثير من أهل الأهواء الذين لهم

لا يفقهون بها فقال لهم انهضوا فى هذا الأمر فإن عثمان أخـذه بغير
... كاتبوا أهل الأمصار فصادفوا من أهلها كثيراً يرون رأيهم حتى فشت
... الطعن على عثمان وولاته فبلغت هذه الأخبار أهل المدينة فسألوا
... عن ذلك فقال ما جاءنى عن ولاتى إلا السلامة وأنتم شركائى وشهود
... فأشيروا على فأشاروا عليه أن يبعث رجالا إلى الأمصار للتحقق من
... الأخبار فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة
... بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر فرجع القوم كلهم وقالوا
... من أمرائك إلا خيراً ما عدا عمار بن ياسر فإنه انحاز إليه جماعة من
... أتباع ابن سـبأ) وملؤوه كلاما فى حق أمراء عثمان ومنعوه عن
... إلى المدينة فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يخبره فأرسل عثمان
... الأمصار (إنى آخذ عمالى بموافاتى كل موسم وقد رفع إلى أهل
... ن أقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم
... قه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين)
... إلى عماله أن يوافوا الموسم فقدموا عليه : عبدالله بن عامر أمير البصرة
... بن سـعد أمير مصر ومعاوية بن أبى سفيان أمير الشام فجمعهم
... عمرو بن العاص السهمى وسعيد بن العاص الأموى وقال لهم ويحكم
... الشكاية والإذاعة إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم
... ب هذا إلا بى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع إليك الخبر عن العوام ألم
... سلك ألم يشافههم أحد بشىء والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا
... صلا ولا يحل الأخذ بهذه الإشاعة فاستشارهم فى تسكين هذه الفتنة
... عامر أرى أن تشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمـال
... وية اجعل كفاياتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام وقال ابن العاص
... ك قد لنت لهم ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى
... طريق صاحبك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين وقال

سعيد متى تهلك قادتهم يتفرقوا فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن وإن بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة إلا فى حدود الله فإن فتح فلا يكونن لأحد على حجة وقد علم الله أنى لم آل الناس خيراً وإن رحى الفتنة دائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا ، ثم نفر ونفر الأمراء إلى بلادهم وصحبه معاوية لأن طريقه على المدينة فلما قدماها جمع عثمان كبار الصحابة فقام معاوية فحمد الله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الأمة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع أنى أرجوا أن يكون أكرم على الله تعالى من أن يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيها من شيء فهذه يدى ولا تطمعوا الناس في أمركم فوالله إن طمعوا فيها لا رأيتم منها أبداً إلا إدبارا فنهره على ابن أبي طالب فقال عثمان صدق ابن أخى وأنا أخبركم عنى وعما وليت إن صاحبي اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وأنا فى رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شيء من ذلك لما أقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع فقالوا قد أصبت وأحسنت أعطيت خالد بن أسيد خمسين ألفاً ومروان بن الحكم ثمانين ألفاً فأخذ منهما لك فرضوا وخرجوا راضين ثم خرج معاوية إلى الشام بعد أن عرض على عثمان الخروج معه فلم يقبل ضنا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معاوية ومر فى سيره على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير فقال قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى أرسل الله نبيه وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع وإن

الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم وإن الله على البدل
إنى قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيراً وكاتفوه تكونوا أسعد
لك ثم مضى أما أهل الأمصار المنحرفون عن عثمان فانهم لم يرتدعوا
م وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم أقدموا علينا فان
عندنا فاتعد جميعهم شوال يخرجون فيه مظهرين الحج فخرج
ون فى خمسمائة عليهم الغافقى بن حرب وخرج أهل الكوفة فى عدد
صر وكذلك أهل البصرة ولما كانوا على ثلاث ليال من المدينة نزل
صرة خشباً (موضع هناك) ونزل أهل الكوفة الأعوص ومعهم
ن أهل مصر ونزل جميعهم بذى المروة وكانت أهواؤهم مختلفة فيمن
لافة بعد عثمان فالكوفيون يريدون طلحة بن عبيد الله والبصريون
بن العوام والمصريون عليا فاجتمع وفد من أهل كل مصر وذهبوا إلى
اهم فأتى أهل مصر عليا فسلموا عليه وعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم
م وقال لقد علم الصالحون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله
سلم وكذلك قال طلحة والزبير لمن جاءهم فانصرف الجميع مظهرين
ع إلى بلادهم حتى تفرق أهل المدينة ثم لم يشعروا إلا والتكبير فى
ها وأحيط بدار عثمان ونودى « من كف يده فهو آثم » فلزم الناس
واستغربوا رجوع الثوار بعد الإذعان بما طلبوه من إعفائهم من
لذين يطلبون عزلهم فأتى محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذى
كم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتابا من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر
فيه بقتلنا ثم سأل البصريين عن مجيئهم فقالوا لنصر إخواننا وكذلك
كوفيون فقال كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم على مراحل من
ه حتى رجعتم إلينا جميعاً هذا أمر أبرم بليل فقالوا اجعلوه كيف شئتم
جة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا فأخذوا منهم الكتاب وسألوا عثمان هل
به فقال عثمان والله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال على ومن

معه من كبار الصحابة صدق عثمان فقال المصريون إذاً من كتبه فقال عثمان لا أدرى قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من إبل الصدقة وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لاتدرى قال نعم قالوا ما أنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذا الأمر ولا ينبغى لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه فاخلع نفسك قال لا أخلع قيصاً ألبسنيه الله ولم يلهم الله أحداً أن يحقق أمر هذا الكتاب إذ كيف اتحدوا على الرجوع بعد افتراقهم فى طرق مختلفة . أما تهمة مروان به فلم تثبت بل حينما سألوه حلف أنه لم يكتب ولم يجعل الله فى دينه القويم دليلا على تبرئة المتهم غير يمينه إن لم تكن هناك بينة ولكن الفتنة متى كشرت عن نابها ضاع السداد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قام الثوار بحصر أمير المؤمنين وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشهود له بالجنة حصاراً شديدا حتى منعوه الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل عثمان إلى على وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال أيها الناس اجلسوا فجلس المسالم منهم والمحارب ثم قال يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنكم عند مصاب عمر سألتم الله أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى الدين بتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة وإنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذ عصته ولم يشاوروا فى الإمارة أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم الله هل تعلمون أن لى من سابقة خير وقدم خير قدم الله لى بحق على كل من جاء من بعدى أن يعرفوا لى فضلها فمهلا لاتقتلونى فإنه لا يحل إلا قتل ثلاث رجل زنى بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفسا بغير حق فإنكم إذا

وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً فقال
ما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فإن كل ما صنع
ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا
ولكن أحدثت ما علمت ولا نترك إقامة الحق عليك خوف الفتنة
لا وأما قولك إنه لايحل إلا قتل ثلاثة فإنا نجد فى دين الله غير الثلاث
يت قتل من سعى فى الأرض فساداً وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه
ن حال دون شىء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت
دونه وكابرت عليه ولم تقدمن نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالإمارة
ن زعمت أنك لم تكابرنا عليها فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منه
تلون لتمسكك بالإمارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك
م عثمان ولزم داره وكان كثير من أهل المدينة أتوا حول داره ليذبوا
رهم بالانصراف فانصرفوا إلا قليلا منهم الحسن بن على وابن عباس
زبير ومحمد بن طلحة وكان عثمان رضى الله عنه يكره جدا أن يحدث
لمدينة فى زمنه فكان يتباعد عنه بقدر ما أمكنه حتى كان ينهى أهل
ن تجريد السلاح وكان يطاول الثوار ويكثر لهم من الخطب ويرسل
لى ابن أبى طالب المرة بعد المرة يعدهم بالرضوخ إلى مطالبهم وهم
رون بل كلما سد عليهم بابا من أبواب الفتن فتحوا غيره فمنعوا الماء
فة المسلمين فجاءهم على بالغلس فقال ياأيها الناس إن الذى تفعلون لايشبه
ؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عنه الماء ولا المادة فإن الروم
ن لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا دعمة عين فانصرف وجاءت
منين حبيبة بنت أبى سفيان مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها
إن وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك
الأيتام والأرامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل بغلتها بالسيف فنفرت

وكادت أم المؤمنين تسقط عنها فتلقاها الناس وذهبوا بها إلى بيتها ثم أشرف عثمان على الناس بعد منع الماء عنه فقال أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعونى أن أشرب حتى أفطر على ماء البحر ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت أرض كذا فزودتها فى المسجد قالوا نعم قال فهل علمتم أن أحداً منع فيه الصلاة من قبلى ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا الأشياء عددها فى مآثره فأثرت مقالته فى كثير منهم حتى قالوا مهلا عن أمير المؤمنين فصرخ بهم شيطان هذه الفتنة لعله مكر به وبكم فازدادوا عتوا وخرجت أم المؤمنين عائشة حاجة وقد سئمت المقام بالمدينة مع هذه الفتن وطلبت من ابن أخيها محمد بن بكر أن يتبعها فأبى لأنه كان من المنحرفين عن عثمان فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك أم المؤمنين ولا تتبعها ثم تتبع ذؤبان العرب إلى مالا يحل وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليك بنو عبد مناف وأمر عثمان عبد الله بن عباس أن يحج بالناس فقال : قتال هؤلاء أحب إلى من الحج فعزم عليه إلا ما أطاع فخرج للحج وكتب معه كتابا يعلم المسلمين أمره ونصه عن الطبرى.

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عثمان أمير المؤمنين سلام عليكم فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنى أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم علينا وعليكم بالإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر وأراكم البينات وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمته فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ٭ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم
لعلكم تهتدون ● ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
ب وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ● ولا تكونوا كالذين
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال
ل وقوله الحق (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به
سمعنا وأطعنا) وقال وقوله الحق (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم
با فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ●
أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله
ليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان
هم الراشدون ● فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال
ل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق
لآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
أليم) وقال وقوله الحق (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا
خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال
لحق (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
علم ما تفعلون ● ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا
أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله
ن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ● ولو شاء الله لجعلكم أمة
ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ●
ذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما
عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ● ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا
الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ● ما عندكم ينفد وما عند الله باق
ن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال وقوله الحق
ا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه

ى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن
ويلا) وقال وقوله الحق (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى
تضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن
فر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال وقوله الحق (إن الذين يبايعونك
ما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن
وفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) أما بعد فإن الله عز وجل
ضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف
نبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم
ن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه فإنكم لن تجدوا
مة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها ومتى
ا تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم
حرم بعض ومتى يفعل ذلك لايقم لله سبحانه وتعالى دين وتكونوا شيعاً
وقد قال الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون) وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فإن شعيباً صلى الله
عليه وسلم قال لقومه (يا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب
قوم نوح أو قوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) .

أما بعد فإن أقواماً ممن كان يقول فى هذا الحديث أظهروا للناس إنما
يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها
فلما عرض عليهم الحق إذا الناس فى ذلك شتى منهم آخذ للحق ونازع عنه
حتى يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر يريد أن يبتزه بغير الحق
طال عليهم عمرى وراث عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدر وقد كتبوا

أن قد رجعوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم
شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت أقيموها على من علمتم
ـاما أقيموها على من ظلمكم من قريب، أو بعيد قالوا كتاب الله يتلى
فليته من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب وقالوا
م يرزق والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى فى الخمس
الصدقة ويؤمر ذوالقوة والأمانة وترد مظالم الناس إلى أهلها فرضيت
واصطبرت له وجئت نسوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كلمتهن
ما تأمرنى فقلن تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ولا تدع
ة فإنما أمره أمير قبلك فإنه مصلح لأرضه راض به جنده واردد عمراً
جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه فكل ذلك فعلت وإنه اعتدى
د ذلك وعدى على الحق كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا فى الأمر
جلوا القدر ومنعوا منى الصلاة وحالوا بينى وبين المسجد وابتزوا
روا عليه بالمدينة كتبت إليكم كتابى هذا وهم يخبرونى بين ثلاث
يدونى بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء
عتزل الأمر فيؤمرون آخر غيرى وإما يرسلون إلى من أطاعهم من
اد وأهل المدينة فيتبرءون من الذى جعل الله سبحانه وتعالى لى عليهم
سمع والطاعة فقلت لهم أما إقادتى من نفسى فقد كان من قبلى خلفاء
ـ وتصيب فلم يستقد أحد منهم وقد علمت أنما يريدون نفسى وأما أن
من الإمارة فإن يكلبونى أحب إلىّ من أن أتبرأ من عمل الله عزوجل
فته وأما قولهم يرسلون إلىّ الأجناد وأهل المدينة يتبرءون من طاعتى
ـ عليهم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن
طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ومن يكن
إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ومن
إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله

وجل والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخليفتان من بعده رضى الله عنهما فإنما يجزى بذلكم الله وليس بيدى
اوكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم
تاً فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده فمن يرضى بالنكث منكم فإنى لا أرضاه
ولا يرضى الله سبحانه وتعالى أن تنكثوا عهده وأما الذى يخيروننى فإنما
النزع والتأمير فملكت نفسى ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله
حانه وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء فإنى أنشدكم الله
لإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله وخذوا
نا بالعدل كما أمركم الله عز وجل فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل
كم العدل والمؤازرة فى أمر الله فإن الله سبحانه قال وقوله الحق (وأوفوا
عهد إن العهد كان مسئولا) فإن هذه معذرة إلى ربكم ولعلكم تذكرون .
بعد فإنى لا أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن
غفور رحيم وإن عاقبت أقواما فما ابتغى بذلك إلا الخير وإنى أتوب إلى
عز وجل من كل ما عملته واستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو إن رحمة
وسعت كل شىء إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون وإنه يقبل
بة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وأنا أسأل الله عز وجل
يغفر لى ولكم وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ويكره إليها الفسق
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون . فقرأه عليهم
عباس يوم التروية . أما الثوار فمنعوا الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته
ا خافوا أن يطول عليهم الأمر فتأتيهم جنود الأمصار قصدوا الباب
تلهم جمع من أولاد الصحابة ولكن أنى يعملون وقد جاءهم مالا قبل
به ؟ وأشار عثمان على من قاتل أن يكف وهو فى حل من نصرته
حرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن
وته ثم قال لمن عنده بالدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى

هداً فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب إلا وهم يريدون أعظم منه وأمرهم
لانصراف ثم قال للحسن بن على إن أباك انى شغل عظيم من أمرك
قسمت عليك لما خرجت إليه فلم يسمعوا قوله وقاتلوا دونه ولكن أنى
م ذلك وهم فى قلة والعدو كثير ؟ فقتل بعضهم وجرح بعض ونجا آخرون
م تسور بعض الثوار دار بنى حزم المجاورة لدار عثمان وخلوا عليه فقال
تل اخلعها وندعك فقال عثمان ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية
لا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت
سول الله صلى الله عليه وسلم واست خالعا قميصا كسانيه الله حتى يكرم
له أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج الرجل ولم يصنع شيئا ثم جاء
خر فقال له كما قال الأول فرجع فجاءهم عبد الله بن سلام وقال لهم يا قوم
تسلوا سيف الله فيكم فو الله إن سللتموه لا تغمدوه ويلكم إن سلطانكم
يوم يقوم بالدرة فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف ويلكم إن مدينتكم
فوفة بالملائكة فإن قتلتموه لتتركنها فشتموه ثم دخل على عثمان الذين
تب عليهم الشقاوة فقتلوا هذه النفس الزكية ظلما وعدوانا فى الشهر الحرام
البلد والحرام لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهذا
و التاريخ المشئوم الذى كان فيه فتح الشر والشقاق بين المسلمين وكان عمره
نتين وثمانين سنة وهذا أمر خولف فيه الشرع جهاراً فى عاصمة الخلافة
إسلامية ومهبط الوحى النبوى شقوا عصا طاعة الإمام الذى انتخب
نخاباً شرعيا وأقر عليه أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
هد إليهم بذلك عمر بن الخطاب ولم يكن ثم ما يوجب الخروج عليه إذ
يوجبه إلا الكفر البواح كما هو نص حديث عبادة بن الصامت المتقدم
م يقل بذلك أحد منهم فى حق عثمان ولا حكم به قاض مستنداً إلى كتاب
سنة وكل ما نقموه عليه أمور لا حرج على الإمام فى فعلها منها تولية
اربه وليس فى هذا أدنى عيب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليا

و ابن عمه وإذا كانت تولية القريب عيباً لنهى عنها عليه السلام ولم يفعلها
ع كل ذلك فالإسلام سوى بين الناس لا قريب عنه ولا بعيد فالأمر
كول لرأى الإمام الذى ألقيت إليه مقاليد الأمة فإن ولى من حاد عن
ين شكونا إليه فإن لم يقبل صبرنا كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه
لم لأن شق عصا الجماعة من مصايب الأمم التى تسرع إليها بالخراب وليس
لشرع مبيح خلع الإمام إلا كفره الصراح (ومما) نقموه على عثمان
راجه أباذر إلى الربذة وقد قدمنا لك سبب إخراجه لأن مذهبه الذى
يدعو إليه ليس مقبولا ويمكن أن يحدث منه قيام الفقراء ضد الأغنياء
دث مالا يحمد (ومن) ذلك زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة
ذا إنما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم فى أنحاء المدينة مما لم يكن فى عهد
ول الله صلى الله عليه وسلم (ومن) ذلك إتمامه الصلاة فى منى وعرفة
ن الأمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده على
صر ولما سأله عبد الرحمن بن عوف عن ذلك أبدى سببا واضحا فقال
ى أن بعض حاج اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل
لاتى وقد اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال وهو عذر له رضى الله عنه
ى لم يقبله عبد الرحمن (ومن) ذلك سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم
يده فى بئر أريس وعدم لقيه (ومن) ذلك تنازله لمروان بن الحكم عن
خمس مغانم أفريقية ولم يمنع الشرع الإمام أن ينفل من شاء من المسلمين
ينفل غيره فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة
ش وكان عليه الصلاة والسلام يسهم أحياناً لبعض من لم يحضر الغزوة
سهم لبعض المتخلفين عن بدر ولمن قدموا عليه يوم خيبر من مهاجرة
سه والدوسيين . فإذا نظرت رعاك الله لهذه الأمور التى نقموها على
ن رضى الله عنه لم تر منها شيئا يشينه ولم يخرج فى شىء منها عن حدود

ع ولكن أولئك قوم بطروا فطلبوا لأنفسهم ما ليس لهم لحق عليهم
ب قال تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا
نه شديد العقاب) وقد عاقب سبحانه فأبلغ العقوبة . نسأله سبحانه
رفع عنا مقته وغضبه ويوفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه .

خلافة على

ظل المسلمون حيارى بعد قتل الخليفة المظلوم لا يجدون لهم ملجأ كأنهم
فوضى ولم يكن أمامهم من يصلح للخلافة بعد عثمان إلا علىّ بن أبى طالب
فذهب إليه معظمهم يطلبون منه أن يلى الخلافة فقدر المستقبل حق قدره
وعلم أنه إنما يستقبل فتنة سائرة لا مرد لها فقال لهم التمسوا غيرى فإنا
مستقبلون أمراً له وجوده وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه
العقول فناشدوه الله والدين فقال قد أجبتكم واعلموا أنى إن أجبتم ركبت
بكم ما أعلم وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم إلا أنى من أطوعكم وأسمعكم لمن
وليتموه فأبوا إلا إياه ثم رأوا أن هذا الأمر لا يتم إلا بمبايعة الزبير وطلحة
فذهب إليهما جماعة وأتوا بهما فبايعاه قيل كرهاً وقيل إن الزبير لم يبايع
أصلا ثم قام الناس فبايعوه وتخلف عن بيعته جمع من أكابر الصحابة فى
المدينة كسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر وأسامة ابن
زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبى سعيد
الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت
ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وغيرهم من أكابر الصحابة فى الأمصار
(مقدمة ابن خلدون) ولما رأى على أن بيعته تمت قام فخطب فى الناس فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس إن الله أنزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير
والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر ، الفرائض أدوها إن الله تعالى يؤدكم إلى
الجنة إن الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلمين على الحرم
كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده إلا بالحق لا يحل دم امرىء مسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة
وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا

ا فإنما ينتظر بالناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده
مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم
فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى
ض) ثم نزل .

ترجمة على

على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى القرشى ابن عم
الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسـد بن هاشم ابن
ف ولد رضى الله عنه فى السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله
عليه وسلم فلما بعث عليه السلام كان على دون البلوغ وكان مقيما معه
يطعمه ويسقيه لفاقة لحقت بأبيه فاهتدى بهدى رسول الله صلى الله
لم ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان وغيرها ولما هاجر
لام من مكة إلى المدينة فداه على بنفسه ونام على فراشه ليظن
ن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل نائما فلا يتبعونه ثم لحقه
وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم غزواته
غزوة تبوك فإنه خلفه فى أهل بيته وقال له أما ترضى أن تكون
ة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى وكان له القدم الثابت فى
زوات فهو أول المبارزين يوم بدر وممن ثبت يوم أحد وحنين
ه فتحت خيبر وزوجه عليه السلام بنته فاطمة فى السنة الثانية من
ثاء منها بالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وناب
ل الله صلى الله عليه وسلم فى قراءة أوائل التوبة فى موسم الحج إيذانا
ه ورسوله من المشركين . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
و بكر بايعه على مع أنه كان يرى له حقا فى الخلافة لقرابته من
ه صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يكره الخلاف ولذلك كان محمد

ابن سيرين التابعى يكذب كل ما نسب لعلى من الأقوال التى فيها حط من مقام الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما روى ذلك البخارى فى صحيحه ولما ولى عمر بايعه كذلك وزوجه بنته أم كلثوم وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها . ولما بويع عثمان بايعه كذلك حتى كان آخر خلافته وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتولية أقاربه وكان على كثيراً ما يمحض له النصح ويرشده إلى ما فيه النجاح والفلاح فلما حل القضاء المبرم واستشهد عثمان أقبل عليه المسلمون وبايعوه بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فقام بها رضى الله عنه ما يقارب خمس سنين لم يصف له فيها يوم وكان أمر الله قدراً مقدوراً كان رضى الله عنه آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أطلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو إلى القصر أقرب وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجهاً ولا يغير شيبه كثير التبسم وله من الأولاد غير من ذكرناهم العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وعبيد الله وأبو بكر ومحمد الأصغر ويحيى وعمر ورقية ومحمد الأوسط ومحمد الأكبر الشهير بابن الحنفية وأم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وأم هانىء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة من أمهات شتى وأعقب من هؤلاء الحسنان ومحمد الأكبر وعباس وعمر .

أعمال على

أول إمارته بعث عمالا على الأمصار غير جميع عمال عثمان فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الأنصارى بدل عبدالله بن عامر وعلى الكوفة عمارة ابن شهاب بدل أبى موسى الأشعرى وعلى اليمن عبيد الله بن عباس بدل يعلى ابن منبة وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدل عبد الله بن سعد وعلى الشام

حنيف بدل معاوية ابن أبى سفيان وأمر كلا بالتوجه إلى عمله فأما
حنيف فتوجه إلى البصرة ولم يرده عنها أحد ولم يعارضه ابن عامر
رة بن شهاب فقابله وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد
فقال له ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فرجع إلى على
دالله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منبة وأخذ كثيراً
وال وذهب إلى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير معارض وأما قيس
فلما وصل مصر افترق أهلها عليه ففرقة دخلت فى الجماعة وفرقة
بخربتا وقالوا لا نكون مع على إلا إن قتل قتلة عثمان وفرقة قالوا
على إلا إن قاد من إخواننا فكتب قيس إلى على بذلك وأما سهل
ف فلما وصل تبوك قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه
معاوية من بيعة على واحتج على خلافته لأنه ظن فيه الهوادة فى
مان على قاتليه ومعاوية يرى لنفسه حقاً عظيما فى القصاص من قتلة
ه وليه والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً
ف فى القتل) ولم ير فى الامتناع عن البيعة خروجا على الإمام لأنه
بيعة على لم تنعقد حيث لم تكون بإجماع ذوى الحل والعقد كما قدمنا
ليه رجلا بطومار ليس فيه شىء من الكتابة وعنوانه من معاوية
ن أبى طالب وأمره إذا قدم المدينة أن يرفعه ليعلم الناس أنه مخالف
جل ما أمر به فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا أن يعلموا رأى على
لشكلة أيقاتل معاوية أم يحذر ذلك فدسوا إليه زياد بن حنظلة وكان
ليه فقال له على يا زياد تيسر قال لأى شىء قال لغزو الشام فقال
اة والرفق أمثل وأنشد :

لم يصانع فى أمور كثيرة — يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

على :

جمع القلب الذكى وصارما — وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد فقالوا له ما وراءك قال السيف وقد عد على خلاف معاوية بغيا وخروجا عن طاعته لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع فلزمت من لم يبايع وأرسل إلى أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية وكان الزبير ابن العوام وطلحة بن عبد الله قد خرجا يريدان العمرة فبينما على يتجهز إذ جاءه خبر لم يكن فى حسابه وهو خلاف طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وأنهم قصدوا البصرة وسبب ذلك أن أم المؤمنين لما قضت حجها بلغها وهى عائدة قتل عثمان وخلافة على فقالت قتل عثمان والله مظلوما والله لأطلبن بدمه فرجعت إلى مكة وخطبت الناس فقالت : (أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هـذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزل لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه (غسلوه) كما يماص الثوب بالماء وتبعها فى رأيها عبد الله بن الحضرمى عامل مكة ومن هرب من بنى أمية من المدينة وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلى بن منية من الكوفة وتبعها أيضا الزبير وطلحة وكان كثير من الصحابة يرون أن أول الواجبات على المسلمين فى هذا الوقت هو تتبع قتلة عثمان والقصاص منهم إقامة لحد الله ورأوا أنه لايصلح تأخيره مهما نتج منه فكأن إقامة هذا الحد فى عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصل إليه ولم ير الزبير ولا طلحة هذا خروجا على الإمام لأن بيعة على لم تنعقد حسبما اجتهدا لأن كثيرا من الصحابة فى المدينة وغيرها لم يبايعوا أما بيعتهما فكانت كرها والسيف على أعناقهما وهذا على رأيهما لا تجب به طاعة فاستقام رأيهم على قصد البصرة

عبد الله بن عمر للخروج معهم فأبى وسار مع أم المؤمنين عائشة
ثير وكان يصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ولما قاربوا
أرسلت عائشة عبد الله بن عامر ليعرف أهلها بقدومها . ففعل ،
ان بن حنيف أمير البصرة فإنه بعث إلى أم المؤمنين عمران بن حصين
لأسود الدؤلى ليسألاها عن سبب قدومها فلما وصلاها قالا إن أميرنا
يك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت ما مثلى يغطى لبنيه
ن الغوغاء وأهل القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله
سلم مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم
وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام
ت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس وراءنا وما ينبغى لهم من
ح هذه القصة وقرأت (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة
وف أو إصلاح بين الناس) فتركاها وأتيا الزبير وقال ما أقدمكما قالا
بدم عثمان فقالا ألم تبايعا عليا قالا والسيف على أعناقنا وما نستقيله
ن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان فرجع عمران وأبو الأسود إلى
يف وأخبراه الخبر فصمم على منع البصرة حتى يحضر على ثم أراد
هل أحد فى البصرة يمالىء طلحة والزبير فدس رجلا إلى الناس فقال
س أنا فلان إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوا خائفين فقد جاءوا من
فيه الطير وإن كانوا جاءوا يطلبون قتلة عثمان فما نحن قتلته فأطيعونى
م من حيث جاءوا فقام إليه أحد زعماء البصرة وقال إن زعموا أنا
ان إنما جاءوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فعرف
ف أن لطلحة والزبير أنصاراً بالبصرة فخرج بمن معه حتى نزل ميسرة
وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمنته وخطبت الناس وكانت جهورية
فحمدت الله تعالى ثم قالت (إن الناس يتجنون على عثمان ويزرون

عداله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر فى ذلك
ه بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون
روا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام
الحرام بلا ترة ولا عذر إلا أن مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ
عثمان وإقامة كتاب الله ثم قرأت : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من
اب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
ضون) فتبعها جمع من أصحاب عثمان وأقبل عليها جارية بن قدامة
ى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك
ذا الجمل عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله سترة وحرمة فهتكت
ك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة
جعى إلى بيتك وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعينى بالناس ثم أقبل عليها
م بن جبلة من فرسان البصرة ومعه جمع فقاتل من معها فأمرتهم بالكف
دافعة فلم ينته حكيم فأمرت أن يأتى الجيش مقبرة بنى مازن فى الجهة
وحجز الليل بين الفريقين فلما كان الصباح خرج حكيم يقدم جيشه
ى إلى قريب المساء فلما مسهم حر السلاح تنادوا إلى الصلح حتى يرسلوا
لمدينة من يعلم لهم أكانت بيعة طلحة والزبير طوعا أم كرهاً فإن ثبت
أكرها ترك بن حنيف البصرة وإن لم يكونا أكرها يرجع الزبير
حة فأرسلوا لذلك كعب بن سور قاضى البصرة فلما قدم المدينة قال
ل المدينة أنا رسول أهل البصرة إليكم أسألكم أأكره طلحة والزبير
لبيعة أم أتياها طائعين فأجاب أسامة بن زيد بأنهما أكرها فلقى أسامة
والى المدينة سهل بن حنيف أخى عثمان بن حنيف إهانة وبلغ هذا الخبر
فأرسل عثمان بن حنيف يقول له والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها
جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير
نظرنا ونظرا فقدم كعب بن سور ووافق قدومه وصول كتاب على

كعب باكراه الزبير وطلحة على البيعة فطلبا من بن حنيف أن يخرج
صرة فامتنع محتجاً بكتاب على فبيته القوم ذات ليلة واستولوا على
وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبى بكر وحبسوا بن حنيف
ك حكيم بن جبلة فأقبل برجاله يريد نصره وكلم عبد الله بن الزبير
ن يخلى سبيل عثمان ويجلس فى بيت الإمارة حتى يأتى على فأبى عليه
ندم حكيم وقاتلهم حتى قتل كثير ممن معه وهرب بقيتهم لجاء الزبير
بمن غزا المدينة منهم فقتلوا إلا حرقوص بن زهير فإن عشيرته
كانت هذه الواقعة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين
بعدها أم المؤمنين ومن معها بالبصرة . أما أمير المؤمنين على
طالب فإنه لما بلغه وهو بالمدينة مسير عائشة وقد عبىء جيشه إلى
ا وجوه أهل المدينة وقال لهم إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما
أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فانتدب معه ناس
حرون فخرج من المدينة وهو يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن
صرة واستخلف على المدينة سهل بن حنيف فلما وصل الربذة أتاه
بقهم فأقام بها وأرسل محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران
كتب معهم كتابا إلى أهل الكوفة هذه صورته : « إنى اخترتكم على
وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أنصاراً وأعواناً
ا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا » وكان من رأى
ى الأشعرى أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن فلما سأله أهل
عن الخروج إلى على والقتال معه قال إنما هما أمران القعود فى سبيل
والخروج فى سبيل الدنيا فلم يخرج مع بن أبى بكر وابن جعفر أحد
لأبى موسى فقال لهما والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما
كن بد من القتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث
جعا إلى على بالخبر فلقياه بذى قار فأرسل بدلهما مالك بن الحارث

شتر وعبد الله بن عباس فلما قدما الكوفة كلما أبا موسى واستعانا عليه
من أهلها فقام وخطب الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال « أيها
س إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله
لم يصحبه وإن لكم علينا لحقا وأنا مؤد إليكم نصيحة كان الرأى أن
ستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على الله وأن تأخذوا من قدم عليكم
المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة وهذه
صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير
القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعى فكونوا
ثومة من جراثيم العرب فاغمدوا للسيوف وأنصلوا الأسنة وقطعوا
وتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلى هذه الفتنة »
ع بن عباس والاشتر إلى على بالخبر فأرسل الحسن بن على وعمار بن ياسر
لا حتى دخلا المسجد فقال الحسن لأبى موسى لم تثبط الناس عنا فو الله
ردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شىء فقال صدقت
أنت وأمى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ى « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى
شى خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وقد حرم علينا دماءنا
والنا فكثر الجدال بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين
مثبط عنه فقام القعقاع بن عمرو وقال يا أهل الكوفة إنى لكم ناصح
كم شفيق أحب إليكم أن ترشدوا ولأقولن قولا هو الحق أما ما قال
ر (أبو موسى) فهو الحق ولكن لاسبيل إليه إنه لابد من إمارة تنظم
س وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهـــذا أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد
ف فى الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا وكونوا فى هذا الأمر
ى ومسمع وقال سيحان بن صوحان من زعماء الكوفة أيها الناس إنه
لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع

س وهذا وليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون
الأمة الفقيه فى الدين فمن نهض إليه فانا سائرون معه وقال الحسن بن على
بوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر
والله لأن يدعيه أو لو النهى أمثل فى العاجل والآجل وخير فى العاقبة
يبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وإن أمير المؤمنين يقول
خرجت مخرجى هذا ظالما أو مظلوما وإنى أذكر الله رجلا رعى حق
إلا نفر فمن وجدنى مظلوما أعاننى ومن وجدنى ظالما أخذ منى والله إن
حة والزبير لأول من بايعنى وأول من غدر فهل استأثرت بمال أو بدلت
ما فانفروا فمروا لمعروف وانهو عن المنكر فأثر فيهم هذا القول
ضوا بالخروج فنفر معه قريب من تسعة آلاف ثلثهم فى نهر الفرات
اقون ركبانا معه فلما التقوا بأمير المؤمنين رحب بهم (وقال لهم يا أهل
كوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم
اريثهم فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا
وانبا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذى نريد وإن يلجوا داويناهم
رفق حتى يبدأوا بظلم ولم ندع أمراً فيه إصلاح إلا آثرناه على ما فيه
ساد إن شاء الله) ثم ندب القعقاع بن عمرو ليكون بينه وبين طلحة
الزبير وقال له اذهب فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ثم
ل له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس فيه وصاة قال نلقاهم بالذى أمرت
إن جاء منهم ما ليس عندنا فيه منك رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع
رى أنه ينبغى قال أنت لها فقدم القعقاع البصرة وبدأ بأم المؤمنين فقال
ا أى أمة ما أقدمك هذه البلدة قالت أى بنى : الإصلاح بين الناس قال
بعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثت إليهما فحضرا
قال القعقاع إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح بين الناس
ا تقولان أنتما ؟ متابعان أم مخالفان ؟ قالا بل متابعان قال فأخبرانى ماوجه

الإصلاح فو الله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة
ن فإن هذا الأمر ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتم قتلة عثمان من
ى البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم يوم قتلتم ستمائة رجل
ب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم
قوص بن زهير فمنعه منكم ستة آلاف فإن تركتموهم كنتم تاركين لما
لون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم
ذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من
البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء
ى هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . قالت أم المؤمنين فماذا تقول
؟ قال أقول : إن هذا الأمر دواؤه التسكين فإن سكن اختلجوا فإن
بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر وإن أنتم أبيتم إلا
رة هذا الأمر واعتسافه كان علامة شر وآثروا العافية ترزقوها وكونوا
يح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم
نى لأقول هذا القول وأدعوكم إليه وإنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ
حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فإن هذا الأمر الذى
ث ليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا
صبت وأحسنت فإن رجع على وهو على مثل رأيك صلح الأمر فرجع
على وأخبره الخبر فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح وأقبلت وفود
البصرة على إخوانهم من أهل الكوفة لينظروا ما رأى إخوانهم
دوا الجميع متفقين على الصلح ولا يخطر لهم قتال إخوانهم ببال فرجعوا
بصرة وأخبروا من بها بهذا الخبر السار وقام على خطيباً فحمد الله
عليه وذكر شقاوة الجاهلية وسعادة الإسلام وإنعام الله على الأمة
ة على الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم
يليه حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ،

ا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الأسلام والأشياء على أدبارها والله
ره ، ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان
ن أمور الناس وليعن السفهاء على أنفسهم فلما سمع السبئية (أصحاب
) مقالة على سقط فى أيديهم ورأوا أن ضرر هذا الصلح إنما يعود
لانه إن تم كان على قتلهم وتشاوروا فيما يفعلون لمنع هذا الصلح
م رئيسهم الضال والدخيل فى الإسلام يا قوم إن عزكم فى خلطة
إذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه
داً من أن يمتنع ويشغل الله عليا والزبير وطلحة ومن رأى رأيهم
رهون فأجمعوا على رأيه ولا يشعر الناس بذلك فلما أصبحوا سار
ار إليه طلحة والزبير فالتقى الجيشان خارج البصرة فسأل عليا بعض
ما سيفعله فقال الإصلاح وإطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه
يضع حربهم قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم
قال دفعنا عن أنفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم،
ه آخر فقال أترى لهؤلاء القوم من حجة فى هذا الدم إن كانوا
الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك ؟ قال نعم قال
وحالهم إن ابتلينا غدا ؟ قال إنى لأرجو ألا يقتل منا ومنهم أحد
لله إلا أدخله الجنة ثم قال : (أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم
ألسنتكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم) ثم أرسل
ة والزبير إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل
ى هذا الأمر فأجابا (ثم) خرج الزبير على فرسه بين الجيشين فقيل
الزبير فقال أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر وخرج
ضاً فخرج إليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال لعمرى لقد
سلاحا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا
ضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان

دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمى؟ فقال طلحة : ألبت على
عثمان ، فلعن علىّ قتلة عثمان ثم قال أما بايعتنى ؟ قال بايعتك والسيف على
عنق ثم ذكر الزبير بأشياء كثيرة يلين بها قلبه وقال أتذكر يوم مررت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غانم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه
فقلت له لا يدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له فرجع الزبير وهو حالف أنه لا يقاتل
عليا وخصوصاً حينما علم أن عمار بن ياسر مع علىّ وقد قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية فكأنه قد شعر بأنه أخطأ فى اجتهاده
لأنه يعمل لله ومتى كان العمل لله كان الرجوع إلى الحق أقرب والهداية إلى
الصواب أسهل ، فرجع كل منهم إلى قومه والجميع لا يشكون فى الصلح
وباتو بأهنإ ليلة للعاقبة التى أشرفوا عليها وهنا رأى السبئية قاتلهم الله أن
الوقت قد حان لتنفيذ مآربهم فخرجوا فى الغلس من غير أن يشعر بهم أحد
فقصد مضرهم مضر البصرة وربيعتهم ربيعة البصرة ويمنهم يمن البصرة
ووضعوا فيهم السلاح فثار كل قوم فى وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير
عن الخبر فقيل لهما طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال قد علمنا أن عليا غير منته
حتى يسفك الدماء وإنه لن يطاوعنا وسأل علىّ عن الخبر وكان السبئية
قد وضعوا عنده رجلا يخبره إذا سأل فقال له ما شعرنا إلا وقوم منهم
بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رحل فركبوا وثار الناس فقال علىّ لقد
علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وأنهما لن يطاوعانا
ثم نادى فى الناس أن كفوا وكان من رأى الجميع فى تلك الفتنة أن لا يبدأوا
القتال يطلبون بذلك الحجة وألا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح
ولا يستحلوا سلباً ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا فجاء كعب
بن سور قاضى البصرة إلى أم المؤمنين وقال لها أدركى الناس قد أبى القوم
إلا القتال لعل الله أن يصلح بك فركبت بعد أن ألبسوا هودجها الأدراع

ت ووقفت بحيث تسمع ضوضاء القتال أما الزبير فإنه ترك القوم
ن ورجع فتبعه رجل يعرف بابن جرموز وقتله غدراً وهو يصلى
السباع ولم يقاتل جيش البصرة إلا قليلا ثم هزم فروا فى هزيمتهم
المؤمنين راكبة هودجها فأطافوا بجملها وقالت لكعب بن سور
ى هؤلاء القوم بالمصحف وادعهم إلى كتاب الله فرماه بعض السبئية
تله ورموا هودج أم المؤمنين بالنبل فجعلت تنادى البقية البقية يابنى .
كروا الله والحساب ولا يأبون إلا إقداما فحرضت جيش البصرة على
حينما رأت أهل الكوفة يريدون هودجها وهنا كانت حميتهم العظمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هنا محيص عن القتال لأنه
إذا أتى لا يردو أمسك بخطام الجمل كثير من أرباب الشجاعة من
وغيرهم فقتل دونه نحو السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم وممن
نه محمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد واشتد أهل الكوفة
ل لأنهم رأوا أن البصريين لاينهزمون مادام واقفاً فرماه كثير منهم
ى رماه قتل فلما رأى على شدة الأمر وكثرة القتلى من المسلمين قال
الجمل فإنه إن عقر تفرقوا عنه والذى دعاه إلى هذا الأمر الحذر على
نين أن تصاب من كثرة النبل الذى سدد لهودجها فقطعوا
ل ثم اجتمع القعقاع بن عمرو وزفر بن الحارث على قطع بطان
مل الهودج وإنه مثل القنفذ من كثرة السهام وعند ذلك انهزم أهل
نادى على ألا لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا
أمر بحمل الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبى بكر أن يضرب
وقال أنظر هل وصل إليها شىء من جراحة فوجدها بحمد الله
تصب بشىء ثم جاءها على فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير يغفر
ال ولك وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث
ى لم يكن فيه مأرب وكذلك على السيدة أم المؤمنين فإنها كانت تود

صلح ولم يجر ماجرى إلا رغما عن الجميع وكان على يتمثل بعد انتهاء الموقعة
ول الشاعر :

إليك أشكو عجرى وبجرى ومعشر نفسى على بصرى
قتلت منهم مضرى بمضرى شفيت نفسى وقتلت معشرى

ثم أمر أن تنزل أم المؤمنين فى دار خلف بن عبد الله الخزاعى على
فية بنت الحارث بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأذن
دفن القتلى ثم أطاف عليهم فلما رأى كعب ابن سور قال زعمتم أنه خرج
هم السفهاء وهذا قد ترون ولما أتى على طلحة قال لهفى عليك أبا محمد
الله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى وأنت
لله كما قال الشاعر :

كان يدنيه الغنى من صديقه إذ ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى على القتلى من أهل البصرة وأهل الكوفة وبعث ما كان فى العسكر
الأسلاب إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحا
الخزائن عليه سمة السلطان ثم دخل على البصرة فبايعه أهلها وولى عليها
د الله بن عباس وجعل على الخراج زياد ابن أبى سفيان ثم بلغه أن رجلا
حزيت عنا أمنا عقوقنا وقال الآخر يا أمى توبى فأمر بكل منهما أن
لد مائة جلدة ثم جهز على أم المؤمنين وسيرها إلى المدينة واختار معها
بعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر
ا كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس إليها فقالت يا بنى لا يعتب
ضنا على بعض إنه والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين
رأة وبين أحمائها وإنه على معتبى لمن الأخيار فقال على صدقت والله ما بينى
بينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت
رة رجب من السنة السادسة والثلاثين فتوجهت إلى مكة فجت ثم رجعت
المدينة والحمد لله .

رجع على إلى الكوفة التى جعلها مقر خلافته فارسل جرير بن عبدالله
إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ويعلمه
ع المهاجرين والأنصار على بيعته فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان
كانوا ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما لأنه رأى أن بيعة على لم تنعقد
ن الصحابه أهل الحل والعقد فى الآفاق ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم
م بعقد من تولاها من غيرهم أو من القليل منهم فجعل رضى الله عنه
س من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين والذى يطالب به وليه ثم
الإمام أمر ثان ولم يكن معاوية يتهم عليا رضى الله عنهما بالمالأة
ان حاشا لله بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرة عثمان من قاتليه ولقد
ا وجه ملامته إنما كان يوجهها عليه فى سكوته فقط كما ذكر ذلك
ابن خلدون فى مقدمة تاريخه أما على رضى الله عنه فكان يرى أن
د تمت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار
لى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الأمر فى القصاص من قتلة
لى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل
عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله فخرج فعسكر بالنخيلة وقدم
عباس من البصرة واستخلف عليها زيادا ثم قدم طلائعه وعبىء
قاصداً محاربة أهل الشام لإجبارهم على الدخول فيما دخل فيه الناس
بذلك معاوية سار إليه فى جيوش الشام فالتقى الجيشان فى سهل
على نهر الفرات شرقى حلب فمكثا يومين ابتدأت بعدهما المراسلة
على بشير بن عمرو الأنصارى وسعيد بن قيس الهدانى وشبث بن ربعى
قال لهم ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله والطاعة والجماعة فتوجهوا
لم بشير بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاوية إن الدنيا
ئلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك
ى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها

ل معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال بشير ليس مثلك إن صاحبي
ق البرية بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة
سول صلى الله عليه وسلم قال فماذا يقول قال يأمر بتقوى الله وأن تجيب
عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى
قبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً
هب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم
يا معاوية قد فهمت ما رددت على بشير إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب
ك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم
قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام
د علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت
لب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته
وق أمنيته والله مالك فى واحدة منهما خير والله إن أخطأت ما ترجو
ك لشر العرب حالا ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك
لى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله ؛
رت مقالته هذه فى معاوية أشد التأثير لأنه حمله فيها ما لم يرده فحمد الله
ثنى عليه ثم قال أما بعد فإن أول ما عرف به سفهك وخفة حلمك أن
عت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما
علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ماذكرت
صفت انصرفوا فليس بينى وبينكم إلا السيف . ومن هنا يفهم أن السفراء
ن الأمراء عليهم المدار فى الإصلاح والإفساد ولقد صدق معاوية فإن
بث بن ربعى كان من أول الخارجين على أمير المؤمنين على فرجع الوفد
على وأخبره وكانت الحرب إذاً لا محيص عنها إذ معاوية يطلب قتلة
ن عمه عثمان ابن عفان وهو أولى الناس بالمطالبة بذلك لأنه وليه وحدود الله
لا تؤخر لأى سبب وعلى يريد رده إلى الطاعة والجماعة ثم ينظر فى القصاص

عثمان ومع ذلك كانوا يحذرون أن يلقى جمع أهل الشام جمع أهل
حذراً من الهلاك والاستئصال فيضيع الإسلام ويطمع فيه أعداؤه
ل يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه فيخرج له
ثله وداموا على ذلك إلى أن أهل محرم السنة السابعة والثلاثين فعقد
اوية هدنة مدتها شهر طمعاً فى الصلح واختلفت بينهم الرسل فأرسل
ى بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعى وزياد بن حفصة
ى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا أتيناك ندعوك إلى أمر
له به كلمتنا وأمتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين إن ابن عمك
لأمة سابقة وأحسنها فى الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس ولم يبق
ك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم
ب معاوية كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدى
لابن حرب لا يقعقع لى بالشنان وإنك والله من المجلبين على عثمان
ى قتلته وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال من مع عدى
ا يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع وأجبنا
معه فطلب معاوية أن يسلم على من معه من قتلة عثمان ومن ألب عليه
ث بن ربعى أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر فقال وما يمنعنى من ذلك
ت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والله الذى لا إله غيره
ليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض والفضاء عليك
ية لو كان كذلك لكانت عليك أضيق ثم تفرق القوم بلا نتيجة
جع من بعثهم معاوية إلى على لأنه كان يريد قبل كل شىء مبايعته ثم
مر قتلة عثمان ولما انقضى شهر الهدنة أمر على منادياً ينادى يا أهل
ب لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم
طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحق وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله
لخائنين ثم أوصى أصحابه فقال (لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم

ـد الله على حجة وتركم إياهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً
لا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى
ـتال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من
ـوالهم ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم
ـلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس) ثم عبى جيشه وأمر أمراءه
ـذلك فعل معاوية وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر فخرجت
ـقة من أهل العراق ومثلها من أهل الشام واقتتلتا طول النهار وهكذا في
ـيام التالية له فلما كان مساء الثلاثاء الثامن من صفر خطب على أصحابه
ـد الله وأثنى عليه فقال (الحمد الله الذي لا يبرم ما نقضه وما أبرم لم ينقضه
ـقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الأمه في
ـه ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار
ـن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل الفتنة وكان منه التغيير حتى
ـذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال
ـلآخرة دار القرار ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا
ـسنى ، ألا وإنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة
ـآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين .
ـجمع على أمره على ملاقاة جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى
ـيشان فتقاتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب أما في
ـم الخميس عاشر صفر فان رحا الحرب دارت بشدة على الطائفتين وظهرت
ـاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء وكل يرى نفسه في طاعة الله فكان أحدهم
ـرأى فرقة ملت القتال رمى عليها بصواعق من لسانه فتعود إليها حميتها
ـن للأشتر بن الحارث اليد الطولى فانه صار يتقدم بمن معه حتى
ـرب معاوية وكان معاوية بعدها يقول كدت أنهزم فذكرت قول
ـ الاطنابة :

لى عفـــتى وأبا بلائى وإقدامى عـلى البطـل المشيح
نى على المكروه مالى وأخذى الحمـد بالثمن الربيح
كلما جشأت وجاشت مكانك تحمـدى أو تستريحى

ذلك من الفـرار وأحاطت به جيوش الشام وحميت قلوبهم ولم
ن القتال إقبال الليل فاستمروا على ما هم عليـه ليلة تعد من ليالى
لمظلـة وأصبحوا وكان الملل والسآمة فى جيش الشام أبين ورأى
بة وعمرو بن العاص فقـال عمرو ندعوهم لكتاب الله أن يكون
ا وبينهم فأمر معاوية برفع المصاحف على الرماح ومناديا يقول
ب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعـد أهل الشام من
اق بعـد أهل العراق فلما رآها أصحاب على وقد أشرفوا على
ختلفوا ففرقة تقول نجيب إلى كتاب الله عز وجـل ورئيسهم
ن قيس الكندى وفرقة تأبى إلا القتال حتى يتم الأمر لأنهم ظنوا
حف خديعة،ورئيسهم الأشتر وكان هذا رأى أمير المؤمنين ولكنه
مخالفيه لكثرتهم فأرسل الأشعث إلى معاوية يسأله عما يريد فتوجه
لأى شىء رفعتم المصاحف فقال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله
عثون رجـلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما العهد
ما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليـه فعاد إلى على
ى الناس رضينا وقبلنا واختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار
ى أبا موسى الأشعرى فحضر عمرو ليكتب الكتاب بين الفريقين
وا .

الله الرحمن الرحيم) هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين على فقال
لنا بأمير فمحاه على وقال (هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب
أبى سفيان قاضى علىّ على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية

ى أهل الشام ومن معهم أنا نزل على حكم الله وكتابه وألا يجمع بيننا
يره وإن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات
وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن
عاص عملا به وما لم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة
أخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما
منان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى
بد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة
يردانها فى حرب ولا فرقة حتى يقضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن
حبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن مكان قضيتهما مكان عدل من أهل الكوفة
أهل الشام) وشهد على الكتاب جماعة من جيش على ومثلهم من جيش
عاوية وتاريخ الكتاب يوم الأربعاء الثلاثة عشرة بقيت من شهر صفر
نة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يجتمع الحكمان بدومة الجندل أو بأذرح
ى رمضان ثم انفض الناس من هذا المحل المشئوم الذى اجتمع فيه فئتان
ظيمتان من المؤمنين يقاتل بعضهم بعضا ولكن الذى يخفف البلية أن
لفريقين كانا يريدان الله بعملهما لأن الجميع كانوا يريدون إنفاذ حكمه
حسبما اجتهدوا ورأوا ورجع أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة وجيشه
ى شقاق واختلاف فريق راض بالتحكيم ظان أنه حاسم للخلاف وجامع
كلمة المسلمين وفريق كاره له قائل كيف تحكم فى دين الله الرجال وهؤلاء
عتزلوا إخوانهم يقولون ادهنتم فى دين الله وأولئك يقولون فارقتم إمامنا
لما وصـــل علىّ الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا وأتوا
حروراء فنزلوا بها فى إثنى عشر ألفاً وأمروا على القتال شبث بن ربعى وعلى
الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله
عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبعث إليهم على عبد الله بن
عباس وقال له لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن مكالمتهم وقال ما نقمتم

ر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين (وإن خفتم شقاق بينهما
ا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)
ب بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا هذا لا يكون بالرأى والقياس
ك قد جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزانى والسارق
للعباد أن ينظروا فيه فقال ابن عباس قال الله تعالى (يحكم به ذو عدل
فقالوا والأخرى كذلك ليس أمر الزوجين والصيد كدماء المسلمين
را فى عدالة عمرو بن العاص وقالوا قد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد
الله حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم
ة فى الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت
فخرج إليهم على ونزل فى فسطاط يزيد ابن قيس منهم بعد أن علم أنهم
ن إليه فى رأيهم فصلى عنده ركعتين وولاه أصبهان والرى ثم خرج
هم فى مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم ؟ قالوا ابن الكوا قال فما
روج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين قال قد اشترطت على الحكمين
ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا
من حكمهما براء قالوا فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء
ا لسنا حكمنا الرجال وإنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط
بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الأجل بينكم
م الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمة
ا إلى رأيه فقال ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا عن آخرهم .

اجتماع الحكمين

ـا انقضى الأجل وحل رمضان فى السنة السابعة والثلاثين أرسل على
ى الأشعرى فى أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانىء الحارثى ومعهم
بن عباس يصلى بهم ويلى أمورهم وأرسل معاوية عمرو بن العاص

ى أربعمائة من أهل الشام عليهم شرحبيل بن الصمة فاجتمع الفريقان فى دومة
الجندل وكان معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن
زبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام والمغيرة بن شعبة وسعد بن
ى وقاص ولما اجتمع الحكمان قام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه وذكر
لحدث الذى حل بالإسلام والخلاف الواقع بأهله ثم قال يا عمرو هلم إلى
مر يجمع الله فيه الألفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا
وقال إن للكلام أولا وآخراً ومتى تنازعنا الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى
سى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير إليه أمرنا
ل فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وقال له اكتب فإنك شاهد علينا
لا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر فيه الآخر فإذا أمرك
كتب وإذا نهاك فانته حتى رأينا اكتب .

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما تقاضى عليه أبو موسى عبد الله بن
س وعمرو بن العاص تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إلا الله وحده
ا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
لدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله
ىلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه وقد
ى الحق الذى عليه قال أبو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك قال
مرو اكتب (وأن عثمان ولى هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين
شورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وأنه
ان مؤمنا) قال أبو موسى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو لا بد والله
ن أن يكون مؤمناً أو كافراً قال أبو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل
ثمان أو مظلوما قال أبو موسى بل قتل مظلوماً قال عمرو أفليس قد جعل
له لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم
ثمان وليا أولى من معاوية قال أبو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن

قاتله حيثما كان أو يعجز قال أبو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب
أبو موسى فكتب ثم قال أبو موسى هذا أمر قد حدث فى الإسلام
جتمعنا لله فهلم إلى أمر يصلح الله به أمة محمـــد قال عمرو ما هو قال
ى قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً وأن أهل الشام
ن عليا أبداً فهل نخلعهما جميعاً ونستخلف عبد الله بن عمر قال عمرو
لك عبد الله بن عمر قال نعم إذا حمله الناس على ذلك فعل فقال له
ل لك فى سعد قال لا فعدد له جماعة وكلهم يأباه أبوموسى ولا يرضى
الله بن عمر فأخذ عمرو الصحيفة بعد أن ختما عليها جميعا ولم يتفق
على من يولياه أمر هذه الأمة لأن أباموسى رضى بخلع على ومعاوية
للخلافة إلا عبد الله بن عمر وعمرو بن العاص لم يرضه فافترقا على
يحصل بينهما غير ما كتب فى الصحيفة كما حكاه المسعودى فى رواية
وموسى فإنه استحيا أن يقابل عليا بعد أن أقر على خلعه من الخلافة
كة وأما عمرو بن العاص فرأى أن الأمر صار شورى بين المسلمين
طر فى الصحيفة ورضى به كلاهما فتوجه هو وأهل الشام إلى معاوية
بالخلافة لأنهم رووه أهلا لأن يقوم بأعبائها أما أمير المؤمنين على
ى أن الحكمين لم يفيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن بل اتبع كل
واه نصمم على حرب معاوية مرة أخرى وخطب أصحابه خطبة
الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجلل وأشهد
إلا الله وأن محمداً رسول الله أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة
الندم وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمرى
رأيى لوكان لقصير أمر ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم
خو هوازن .

أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

إلا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن
وراء ظهرهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى
من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا فى حكمهما وكلاهما لم
يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير إلى
الشام وأصبحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين) ولكن حال بينه وبين
ذلك أن خرج عليه جماعة زعموا أن التحكيم نقص فى الدين وهم الذين كانوا
اعتزلوه أولا فأرسل إليهم عبد الله بن عباس فلما صار إليهم رحبوا به
وأكرموه فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الإبل عليهم
قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس فقال جئتكم
من عند صهر رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه قالوا إنا أتينا
عليا حين حكمنا الرجال فى دين الله فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا
رجعنا فجادلوه وجادلهم ومما احتجوا به أن عليا محا نفسه من إمارة المسلمين
وقت كتابة الصحيفة قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله
اسمه من النبوة وقد أخذ على الحكمين ألا يجورا وأن يجورا فعلى أولى من
معاوية وغيره قالوا إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال فأيهما رأيتموه
أولى فولوه قالوا صدقت يا ابن عباس قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا
طاعة لهما ولا قبول لقولهما فرجع معه ألفان منهم وبقى الباقون فصلى بهم
صلاتهم ابن الكواو قال متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرباحى
فبقوا على ذلك يومين ثم أجمعوا على البيعة لعبدالله بن وهب الراسبى ومضوا
إلى النهروان فأصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى
وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب بن الأرت وفى عنقه
مصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا إن هذا الذى فى عنقك ليأمرنا
بقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على
رطبة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً وعرض لرجل منهم خنزير

رجل فقتله فقالوا هذا فساد فى الأرض فقال عبد الله بن خباب
كم بأس إنى لمسلم قالوا حدثنا عن أبيك قال سمعت أبى يقول سمعت
له صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما
دنه يمسى مؤمناً ويصبح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تكن
وا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا ماتقول فى على
يم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيراً فقالوا فما تقول فى الحكومة
قال أقول إن علياً أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه
يرة قالوا إنك لست تتبع الهدى إنك تتبع الرجال على أسمائها ثم
شاطىء النهر فذبحوه وساوموا رجلا نصرانياً بنخلة له فقال هى
ا ماكنا نأخذها إلا بثمن فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله
ولا تقبلون منى جنى نخلة فلما بلغ أمير المؤمنين عنهم هذا الفساد
البدء بهم فسار إليهم وقدم لهم قيس بن سعد فقال لهم عباد الله
إلينا طلبتنا (قتلة عبد الله بن خباب) ادخلوا فى هذا الأمر الذى
ه وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم ركبتم عظيما من الأمر
ليتنـــا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين وقال لهم أبو أيوب
عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التى كنا عليها ليست بيننا
ة فعلام تقاتلوننا فأبى الخوارج إلا ما عزموا عليه وامتنعوا عن
قتل عبد الله بن خباب فعبى لهم أمير المؤمنين جيشه ونصب
راية الأمان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم
ستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن
هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا
ك دمائكم فانصرف فروة بن نوفل بخمسمائة حتى نزل البندنجين
وانصرف جماعة إلى الكوفة وخرج إلى على نحو مائة مسالمين

فبقى مع الخوارج ألفان وثمانمائة لم يلبثوا إلا ضحوة نهار حتى قتلوا ولم
ينج منهم إلا ثمانية أشخاص وقتل من أصحاب أمير المؤمنين تسعة ثم أخذ
ما فى عسكرهم فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسم وأما الإماء والعبيد
والمتاع فرده على أهله بالكوفة ثم إن الذين كانوا فارقوهم والذين لجئوا
إلى راية أبى أيوب ومن كان أقام بالكوفة من الخوارج على الجياد
تجمعوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام فيهم المستورد أحد كبرائهم
وخطيبهم حاثاً على قتال على فخرجوا إلى النخيلة فأرسل إليهم عبـــد الله
ابن عباس ناصحاً فأبوا فسار إليهم أمير المؤمنين وطحنهم جميعاً بالنخيلة ولم
ينج منهم إلا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائى وابن شريك الأشجعى
(ولما) انتهى أمير المؤمنين من الخوارج أمر أصحابه بالتوجه إلى الشام
لقتال معاوية ومن معه فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا
ونسلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا فلنستعد
ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا . ومن هذا
يفهم أن القوم قلت عزائمهم فسئموا القتال وإذا كانت هذه حال الجيش
فلا تستغرب ما آل إليه حال أمير المؤمنين على بن أبى طالب فان سلطته
سارت إلى الوراء كل يوم فى نقصان وهو كل ساعة يحرضهم بما أتاه الله
من فصاحة اللسان وبلاغة القول وهم لا يزدادون إلا فتوراً وقليل منهم
الذى أخلص له القول والعمل وكثرت عليه الخوارج بحجتهم التى اتخذوها
وهى أنه حكم الرجال فى دين الله ولا حكم إلا لله وكان فيمن خرج عليه
الخريت بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من بنى ناجية جاء إليه فقال ياعلى والله
لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك وإنى غداً مفارق لك فقال له إذاً تعصى
ربك وتنكث عهدك ولا تضر إلا نفسك خبرنى لم تفعل ذلك ؟ فقال
لأنك حكمت وضعفت عن الحق وركنت إلى القوم الذين ظلموا فأنا عليك
زار وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين فقال له هلم أدارسك الكتاب

طرك فى السن وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف الآن
ت له منكر قال فإنى عائد إليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك
ل والله لئن استرشدتنى وقبلت منى لأهدينك سبيل الرشاد فلم يسمع له
بل سار بمن معه نحو نفر فأرسل وراءهم زياد بن خصفة البكرى وقال
حتى تأتى دير أبو موسى وانتظر أمرى فسار زياد حتى أتى دير
وسى وبعد مسيره أرسل إلى على قرظة بن كعب الأنصارى يخبره أن
ب الخريت قتلوا رجلا من الدهاقين كان قد أسلم فبعث إلى زياد أن
آثارهم ويطلب منهم من قتل هذا الدهقان ثم يرده إليه فان أبوا
هم فسار زياد حتى لحقهم بالمذار فقال زياد للخريت ما الذى نقمت على
المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم إماماً ولا سيرتكم
فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى فقال له زياد
يجتمع الناس على رجل يشبه صاحبك الذى فارقته علماً بالله وسنته
به مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته بالإسلام
الخريت لا أقول فى ذلك لا . قال زياد ففيم قتلت المسلم الذى قتلته
م أقتله إنما قتله جماعة من أصحابى قال فادفعهم إلينا قال مالى إلى ذلك
فقاتلهم زياد إلى الليل فهرب الخريت ليلا ولما رأى ذلك زياد
إلى البصرة لمداواة من معه من الجرحى وأرسل إلى على بالخبر
ل إلى الخوارج معقل بن قيس الرياحى فى ألفين وكتب إلى ابن عباس
رة أن يمده بألفين من أهلها عليهم رجل ذو نجدة فسار معقل ولحقه
أهل البصرة فوافوا الخوارج قرب جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم
قتل من أصحاب معقل نحو السبعين وانهزم الخريت ببعض أصحابه
على معقلا أن يتبعه فتبعه حتى أجهز على بقية من معه وقتل الخريت
خرج) على أمير المؤمنين بعد ذلك كثير من الخوارج كلما أطفئت
مت أخرى (أما) معاوية رضى الله عنه فإنه منذ بويع بالخلافة

فقام له الأمر بالشام وكانوا أحسن جند فى طاعة الأمراء فأراد أن يجمع
ة المسلمين على بيعته كما كان يريد أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى
عنه فأرسل إلى مصر عمرو بن العاص :

وكان من خبرها أن عليا لمـا بويع أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة
قدمنا فبايعه أهلها إلا جماعة منهم اعتزلوا بخربتا عليهم يزيد بن الحارث
لجى أعظموا قتل عثمان ودخل معهم مسلمة بن مخلد فكف عنهم قيس لعلمه
م ليسوا بمن يخاف شره فلما علم بذلك أمير المؤمنين كتب إليه يأمره
الهم لأن معظم النار من مستصغر الشرر فكتب إليه قيس (أما بعد فقد
ت لأمرك تأمرنى بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم
عدوا عليك عدوك فأطعنى يا أمير المؤمنين واكفف عنهم ، فإن الرأى
هم والسلام) فعزله أمير المؤمنين عنها وولاها محمد بن أبى بكر الصديق
جاءها قصد المسجد وخطب أهلها فقال (الحمد لله الذى هدانا وإياكم لمـا
لف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيراً مـا عمى عنه الجاهلون ألا إن
المؤمنين ولانى أمركم وعهد إلى ماسمعتم وما توفيق إلا بالله عليه توكلت
يه أنيب فإن يكن ما ترون من إمارتى وأعمالى طاعة فاحمدوا الله على ما كان
ذلك فإنه هو الهادى وإن رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه إلى
تبونى فيه فإنى بذلك أسعد وأنتم جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال
حمته) ثم نزل وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين بخربتا يخيرهم بين
عة أو الخروج من مصر فأجابوه إنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى مايصير
أمرنا فلا تعجل لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانت
ذاك وقعة صفين فتمت وهم حذرون من محمد فلما حصل التحكيم طمعوا
ونابذوه فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها فأرسل أخرى فقتلوا
سها ثم خرج معاوية بن خديج السكونى مطالباً بدم عثمان فلمـا علم أمير

زمنين بذلك رأى أن محمداً لاتمكنه المقاومـــة فولى على مصر الأشتر
ى الحارث النخعى وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة
فى فى الطريق وشق على محمد بن أبى بكر عزله فأرسل إليه على (أما بعد
د بلغنى موجدتك من تسريحى الأشتر إلى عملك وإنى لم أفعل ذلك
ازدياداً لك منى فى الجد ولو نزعت ما تحت يدك وليتك ما هو أيسر
ك مؤنة وأعجب إليك ولاية . إن الرجل الذى كنت وليته أمر مصر
لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن
راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب ، أصبر لعدوك وشمر للحرب
ع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة
والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك) فكتب إليه محمد
ا بعد فقد انتهى إلى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى
ى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه منى وقد خرجت
كرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأشهر لنا خلافا وأنا متبع
أمير المؤمنين وحافظ له والسلام) فلما كانت سنة ثمان وثلاثين أرسل
ية عمرو بن العاص فى ستة آلاف فسار حتى نزل أدانى مصر فجاءه من
ب على محمد بن أبى بكر وطالب بدم عثمان فاجتمع بهم وكتب إلى محمد
د فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فإنى لا أحب أن يصيبك منى ظفر
اس فى هذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها
ك من الناصحين) فكتب محمد إلى على بالخبر واستمده فارسل إليه أن
شيعته إليه ويأمره بالصبر ويعده بإنفاذ الجيوش إليه فقام محمد فى الناس
م إلى الخروج معه فانتدب له ألفان أمر عليهم كنانة بن بشر فسيرهم
وتوجه هو بألفين لقتال عمرو فلما التحم كنانة بجيوش الشام ومعهم
بن خديج من أهل مصر انهزم المصريون وقتل كنانة فلما سمع بذلك

محمد تفرقوا عنه فاختفى أما عمرو فإنه سار حتى نزل الفسطاط وخرج
ة بن خديج يطلب محمد بن أبي بكر حتى التقى به فقتله .

لما بلغ قتله أم المؤمنين عائشة جزعت عليه جزعا شديداً وضمت إليها
ه . وبقتل محمد صارت مصر فى طاعة معاوية بن أبي سفيان وبايع له
أما المدد الذى أرسله أمير المؤمنين لمساعدة محمد بن أبى بكر فإنه بلغهم
الطريق قتله فرجعوا (وبعد) أن تم لمعاوية أمر مصر سير إلى البصرة
لله بن الحضرمى وكان عليها إذ ذاك زياد بن أبى سفيان خليفة لابن
فاجتمع إلى ابن الحضرمى جمع كثير من بنى تميم كانوا يطلبون بدم
فطلب منهم المساعدة فقام إليه الضحاك بن قيس وكان على شرطة ابن
فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعون اليه نحن الآن مجتمعون على بيعة
قد أقال العثرة وعفا عن المسىء أفتأمرنا أن ننتضى أسيافنا ويضرب
بعضاً ليكون معاوية أميراً فقام عبد الله بن خازم السلمى وقال للضحاك
فلست بأهل لأن تتكلم وقال لعبد الله نحن أنصارك ويدك والقول
فلما رأى ذلك زياد استجار بالأزد فأجاروه هو وبيت ماله وأرسل
لى بالخبر فبعث إليه أعين بن ضبيعة المجاشعى التميمى ليفرق تميم عن ابن
رمى فقتل غيلة فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدى فسار
بصرة وخطب الأزد وجزاهم عن أمير المؤمنين خيراً وقرأ على أهل
رة كتاب على يهددهم ويتوعدهم فيه بحرب أشد من وقعة الجمل فأجابه
أهل البصرة فسار إلى ابن الحضرمى وقاتله هو ومن معه حتى هزمه
رة حتى قتل .

ثم صار معاوية يوجه السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين ليدخلها فى طاعته
يزيد ابن شجرة إلى مكة ليحج بالناس ويبايع أهلها على طاعته وكان
من قبل على قثم بن العباس وليس عنده قوة يقاتل بها فلم يقدم على

فاما ابن شجرة فأمن الناس إلا من قاتل وأرسل إلى أبى سعيد الخدرى
ن يأمرهم ألا يصلى بالناس ولا يصلى أيضاً ابن شجرة ويختار الناس
لى فاختاروا شيبة بن عثمان فصلى بهم وتم الحج بسلام ولم يحصل إلحاد
م حذرا من وعيده تعالى فى قوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه
ب أليم ﴾ وصارت السرايا بعد ذلك تتردد بين الجهتين وكل يريد
لمة فلم يتيسر لأحدهما ولكن الحجاز واليمن دخل أهلوها فى طاعة
حينما سير إليهما بسر بن أرطاة العامرى فلم يعد مستمسكا ببيعة أمير
إلا العراق وما والاها من بلاد فارس وكلها نار تضطرم بالخلاف
فريق شيعة على وآخرون خوارج لا يريدون عليا ولا معاوية
منافق يظهر طاعة على ويخفى عداءه فملهم أمير المؤمنين وسئم إمارته
تى خاطبهم بذلك فى كثير من خطبه . وفى السنة الأربعين من
النبوية أراحه الله من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصى فضمه
انه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وسبب ذلك أنه
لاثة من الخوارج وتذاكروا ما حل بإخوانهم من الخوارج وكرهوا
دهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى
وفة فيقتل عليا ويذهب الثانى وهو البرك بن عبد الله التميمى إلى
تل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمرو بن بكر التميمى إلى مصر
رو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه فأما
هب إلى معاوية وانتظره فى صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع
ولم يمته فأمر به معاوية فقتل وأما عمرو بن بكر فذهب إلى عمرو
حظه لم يخرج إلى الصلاة فى ذلك اليوم لمرضه فكان يصلى بالناس
ن جبيب السهمى فضربه الخارجى فقتله ظناً منه أنه عمرو فخاب
س عليه فقتل وأما عبد الرحمن بن ملجم فقصد الكوفة وانتظر
منين فى صبح الليلة التى اتعد فيها الخوارج وهى ليلة الجمعة لسبع

خلون من رمضان فبينما أمير المؤمنين ينادى الناس الصلاة الصلاة إذ ضربه
هذا الشقى بسيفه قائلا الحكم لله لا لك يا على ولا لأصحابك فقال على
لا يفوتنكم الرجل فشد عليه الناس وأخذوه وقدم جعدة بن هبيرة يصلى
بالناس الصبح ثم قال رضى الله عنه النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما
قتلنى وإن بقيت رأيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون
دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلى انظر يا حسن
إن أنا مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فانى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور »
ودخل جندب بن عبد الله فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع
الحسن فقال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما
أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شىء أزوى عنكما
وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للأخرى وكونا للظالم خصيما
وللمظلوم ناصراً واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم)
ثم نظر إلى محمد الأكبر بن الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به
أخويك قال نعم قال فانى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم
حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال للحسن والحسين
أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال للحسن
أوصيك أى بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها
وحسن الوضوء فانه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم
الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الأمر
والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
واجتناب الفواحش ثم لم يزل يذكر الله حتى مات رضى الله عنه فغسله
ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب
ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . ومكث رضى الله عنه

خلافة أربع سنين وسبعة أشهر وأياما أراد الله فيها أن يذيق الأمة
كأس الضر من الاختلاف عليه لتكون قد ذاقت الأمرين السراء
راء والأخوة والشقاق فتختار لنفسها ما يوفقها الله له وقد كان الله
نه وتعالى يعلم الأمة المحمدية فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ب يعجله جزاء على أعمال لتحذير الأمة من العودة لها كما عاقب بالجريمة
روة أحد إذ فشل المسلمون وتنازعوا فى الأمر وعصوا الرسول فلم يعد
ون بعد ذلك لشىء من هذه الثلاث لعلمهم بأنه يبعدهم عن الله جل ذكره
اموا كذلك فنصره بعيد عنهم وكذلك فى هذه الواقعة أراد الله أن
م على ما فعله بعضهم فى خليفتهم الذى بايعوه وتعهدوا بطاعته ثم
ا ببعته وقتلوه ظلماً فعاقبهم الله بهذا العقاب الشديد وأوقع بأسهم
حتى لا يعودوا لتفريق كلمتهم وشق عصا أئمتهم ، نسأل الله التوفيق .

لما استشهد على رضى الله عنه بايع أهل الكوفة ابنه الحسن وأول
عه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله
رسوله وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فإنهما
على كل شرط فبايعه الناس على ذلك .

الحسن

هو الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة المنورة في السنة الثالثة من الهجرة وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يحبه حباً شديداً هو وأخوه الحسين وقال في حق الحسن « اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه » وقال فيه كما رواه البخاري في صحيحه « إن إبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين » ولم يحضر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنه فقد توفى عليه السلام وقد جاوز سبع السنين ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء أدخل الحسن في أهل البدر لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن دافع عن عثمان وأبلى في ذلك بلاء حسناً حتى نهاه عثمان رضى الله عنه ، ولما بويع أمير المؤمنين على كان الحسن معه في جميع مشاهده ولما قتل على رضى الله عنه أجمعت شيعة أبيه على بيعته وله كثير من الأولاد من أمهات شتى لم يعقب منهم إلا إبناه الحسن المثنى وزيداً .

أعماله في الخلافة

لما بويع رضى الله عنه وكان أبوه قد جهز جيشاً لحرب أهل الشام أمر الحسن بخروج هذا الجيش لتتميم ما قد عزم عليه أبوه وسير قيس ابن سعد طليعة له . وليحقق الله سبحانه للحسن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهمه الرشد فنظر إلى بيعته فرآها ليست كبيعة أبيه فإنها ليست عامة ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل العراق ورأى من جهة أخرى أن جند العراق لا تقوم به دولة لما هو بينهم دائماً من الشقاق

التطلع إلى ما ليس لهم حتى نازعوه بساطاً كان يجلس عليه فراسل
ن أبى سفيان يبذل له الصلح ويشترط عليه شروطاً فأرسل له بصك
ى فيه كتابة وطلب منه أن يشترط لنفسه ما شاء فكتب فيها الحسن
أهمها تأمين جيشه وشيعة على كلهم فقبلها معاوية وقدم إلى العراق
سن بجيشه وبايعه بالخلافة هو وجنده وبهذا صدق رسول الله
عليه وسلم فى قوله « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين
عظيمتين من المؤمنين » وبتسليمه رضى الله عنه انقضى الدور الثانى
الخلفاء الراشدين وهو دور الفتن والشقاق وكان مبدؤه من قيام الثوار
رضى الله عنه ونهايته تسليم الحسن الخلافة لمعاوية . فتن دامت
ن لو كانت فى أمة أخرى لهدمت أركانها وقوضت بنيانها ولكن
ى دينه القويم بعين عنايته فألف كلمة أهله وحفظه كما وعد وكنت
جعل خاتمة الكتاب خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان
نعنى من ذلك ما منع العلامة عبد الرحمن بن خلدون حيث قال
الجزء الثانى من تاريخه (وقد كان ينبغى أن نلحق دولة معاوية
بدولة الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة
فى ذلك إلى حديث « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فإنه لم يصح والحق
فى عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون عنهم لأمرين (الأول)
لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التى حدثت لعصره
ذلك فكانت اختياراً واجتماع فميزوا بين الحالتين فكأن معاوية أول
البة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويشبهون
ض وحاشا لله أن يشبه معاوية بأحد من بعده فهو من الخلفاء
ومن كان تلوه فى الدين والفضل من الخلفاء المراونية ممن تلاه
كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بنى العباس ولا يقال إن الملك
ية من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا ؟ (واعلم) أن

الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى أنكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها وأما الملك الذى هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافى الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة فى دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك وأبهته للاستكثار من الدنيا وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عند ما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون فى ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا الواهى فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المسلمين ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمى خليفة بالمجاز (الأمر الثانى) فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا فى نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوق بهم قريباً فى الفضل والله يحشرنا فى زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم . وقد أفردنا نحن لبنى أميـــة وخلفائهم وأخبار دولهم فى الشام والأندلس كتاباً نفيساً سميناه (الفتوحات الإسلامية فى عهد الدولة الأموية فى الشرق والأندلس) .

الخاتمة

لما كنا قد التزمنا أن نتبع كل دور بنتيجة ما حصل فيه رأينا أن نوفى
ما وعدنا به من ذلك فنقول إن لهذا الشقاق الذى حصل والخلاف الذى
سببا واحدا به انصدع الحبل وتشتت الشمل وهو قتل عثمان بن عفان
المؤمنين رضى الله عنه . نقم عليه الناس إذ ذاك أمورا فعلها فقاموا عليه
حصروه فى داره ولم يقبلوا منه إلا أن يخلع نفسه ويدعوه مستندين على
ب افتعل وادعى أنه من عثمان إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل بعضهم
لد آخرين فلما امتنع من خلع نفسه قتلوه فى داره فى عاصمة الإسلام
دينة النبي عليه الصلاة والسلام البلد الذى يأمن فيه الجانى ويلوذ به الآثم
يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة ولا لخليفته عهدا . انقسم
س فيه على ثلاثة أقسام منهم الناكث لبيعته وهم الزعانف الذين لم تستنر
ثرهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم المقيم على ولائه الذاب
وهم أكثر الأمة وغالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمصار
مين ومنهم المقيم على الحياد لا ينصره ولا يخذله فأما الأولون فقد خالفوا
رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا لك فى صدر كتابنا هذا
ه عليه السلام فى الخروج عن طاعة الإمام ولم يجعل لها سببا إلى الكفر
ح وهو الظاهر الصريح الذى لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم
لغلاة الذين صرحوا بذلك فان كلامهم مردود عليهم من جميع الأمة
الشيعة والذى نقموه عليه هو أمور لا تخرج عن حد الشرع وقد قدمناه
أما الذين أقاموا على ولائه فمنهم المقيم بالمدينة وهؤلاء غلبوا عليها
مكنوا من المقاومة والذين قاوموا أوذوا فقتل بعضهم وجرح كثير
ومنهم المقيم بالأمصار وهؤلاء خرجوا لنصرته حينما بلغتهم الأخبار

يصلوها إلا وقد قضى الأمر وأما الذين كانوا على الحياد فلم يكونوا يظنون
ن الأمر يصل إلى القتل لأنهم رأوا أن عثمان قد صار أسيراً فى أيديهم
ليس من العادة قتل الأسرى ولو كانوا كفاراً وحاشا لله أن نظن أن عليا
الزبير وطلحة كانوا يظنون أن قصد الثائرين قتل عثمان ثم لا يدافعون
نفسهم عنه حتى يهلكوا أو يخلصوه . أراد الله ما أراد ولا راد لقضائه .
ل عثمان فافترقت الأمة إذ ليس هذا بالأمر الهين حتى يقابل بالغض .
ريق ناقم على قتلته ويود قبل كل شىء إقامة حداً لله والقصاص من قاتليه
يجتمع رجال الحل والعقد من الأمة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة
ثمان ورأسهم وكبيرهم معاوية ابن أبى سفيان أمير الشام وكثير غيره من
صحابة كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعمرو بن العاص وغيرهم
ضى الله عنهم وفريق رأوا أن الأولى بالمسلمين أن يبدأوا بإقامة خليفة لهم
ينفذ حكم الله فى القاتلين بعد أن تهدأ الأحوال ولا يتعسر أمر القصاص
تجتمع جنود المسلمين للقدرة على الثائرين ومن هؤلاء على بن أبى طالب،
كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريق الثالث قتلة عثمان
رون بالطبع أنهم أصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً . قام المسلمون
لمدينة وفيهم كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوا عليا
يكون خليفة لهم فامتنع كل من ليس على رأيه وقاموا يدعون المسلمين
لأخذ بناصرهم حتى يقيموا حد الله فيمن قتل عثمان فتوجه الزبير وطلحة
أم المؤمنين عائشة إلى البصرة للاستعانة بأهلها على القصاص فوافقهم
ماعة وخالفهم آخرون فعدوا من خالفهم عاصيا مانعاً من إقامة حد الله
أصابوا بعضاً من قتلة عثمان فقتلوهم . أما أمير المؤمنين فعدهم خارجين عن
طاعته لأنه رأى أن بيعته تمت بمن حضرها فلزمت من لم يحضرها فتوجه
ليهم وحاربهم حتى دخلوا فى طاعته بعد قتل رؤسائهم وأرجع أم المؤمنين
لى بيتها ثم عزم على حرب معاوية ومن رأى رأيه إن لم يدخلوا فى طاعته

ـب يطيعون وقد رزئوا بقتل شيخهم وأمير المؤمنين والقصاص من قتلته
الأشياء عندهم فكيف يتركونه أو يؤجلونه وعدوا ذلك عصياناً لله
حانه وتعالى وتعطيلا لحدوده ويتهموا عليا بالهوادة فى نصر الخليفة وإيواء
ه فى جيشه فلما حاربهم حاربوه وظل السيف يعمل فى رقاب المسلمين
رأى ذلك معاوية وأصحابه أشاروا على أمير المؤمنين بتحكيم كتاب الله
م فقبل ذلك حينما رأى أكثر جيشه راضين به فحكم كل فريق رجلا
ان الحكمان لم يوفقا للإصلاح بين هاتين الطائفتين العظيمتين ولكنهما
را فى صحيفتهما خلع على ومعاوية ويختار المسلمون لأنفسهم من شاءوا
ض كل منهما شخصا فلم يقبل أحدهما ما عرضه الآخر فافترقا على ذلك .
ى هذا التحكيم عند معاوية بن أبى سفيان أملا عظيما فى تولى خلافة
ـين حيث بايعه بها كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قادهم فيه الكفاية وحسن السياسة وأنتج فى جيش على الافتراق والشطط
ق عده كفراً وضلالة زاعمين أن لا حكم إلا لله وهذا تحكيم للرجال
ر الله وفريق استحسنه ؛ فعادى كل فريق الآخر واعتزل من قبحوا
يم عليا فشغل بهم وحاربهم مراراً فقتل كثيراً منهم ونجا آخرون .
ى فيهم مذهب الخروج على خلفائهم زاعمين ألا يصلح لها إلا رجل
معتقدهم فشغلوا الخلفاء حينا من الدهر وألهوهم فى كثير من الأوقات
ـهاد الأعداء أما شيعة على رضى الله عنه فإنهم رأوا فعل معاوية وطلبه
فة أمراً إمراً لأنهم وزنوه بعلى فرأوه مرجوحا فأرادوا إعادة الكرة
ـام ولكن الأجل المقدور قضى على حياة أمير المؤمنين فقضى نحبه ولحق
وجاء السيد ابن السيد فأصلح بين المؤمنين ووحد الكلمة وأزال
ولكن الصدور لم تزل تكمن ما فيها فشيعة على لا تزال ترى هذا
فى أولاده يطلبونه متى سنحت لهم الفرصة وصارت لهم مذاهب ونحل
جز القلم عن استقصائها والخوارج لا تزال ترى التحكيم ضلالة ولا ترى

ة إلا شورى ولا ينتخب إلا رجل على مذهبهم ومعتقدهم وتفرقوا شيعاً
له مذهب يتبعه ، وسنأتى عليها فى كتابنا فى أخبار الدولة الأموية
شاء الله ؛ ولا يخفى أن كلامن على ومعاوية رضى الله عنهما كان يظن فى الآخر
لا ومخالفة السنة وإلا لما جاز له قتاله حتى كان أمير المؤمنين على يدعو
معاوية فى صلاته وكذلك كان يفعل معاوية (وأما أخبار اللعن فمن
ذيب التاريخ لأنه لم يقل أحد المتخاصمين بكفر الآخر حتى يجوز له لعنه
معتقد أنه مؤمن ولكن عاص وناهيك بما قاله أمير المومنين على عن قتلى
يقين فى وقعة صفين والجمل وقال العلامة ابن كثير فى تاريخه إن خبر
ن لم يصح) والعجب بعد ذلك ممن يأتى بعدهم وهو لا يعرف إلا القليل
صل لهم ثم هو يتشيع لأحد الفريقين ويبغض الآخر وهذا ليس من
ن فى شىء فأولئك قوم اختلفوا فى الرأى ولم يتبعوا الهوى بل أرادوا
بأعمالهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تلقوا عنه الدين
رة ونقلوه إلينا وقد أجمع المسلمون على توثيقهم وعدالتهم فالخوض
ذلك فى تضليل بعضهم مما لا يرضى به الله ولا رسول الله صلى الله عليه
م والأولى للمسلمين أن يعرفوا أن ما حصل فى زمنهم من الخلاف
رقة أمران لا ينبغى عملهما فيتجنبوهما ويتخذون ذلك درساً فى أحوالهم
اسة دنياهم بدل أن يشغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من تفضيل أحد
حوين على الآخر وتضليل الثانى منهما . فالله الله فى أصحاب رسول الله
الله عليه وسلم فلو أنفق أحدكم ياقوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم
نصفية بشهادة نبيكم صلى الله عليه وسلم وإياكم ودجالين وكذا بين من
خين قضت عليهم ظروف زمنهم أن يقبلوا الحقائق ويكذبوا على الله
الأمة الاسلامية فينسبون القبائح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه
م واشغلوا أنفسكم بتحسين حالكم وطاعة ربكم وها أنا قد نقلت لكم هذا
خ الصغير من أوثق المصادر التى يعتقدون بصحتها فليس بعد كتاب الله

نه وتعالى كتاب أوثق من صحيح الإمام البخارى وصحيح الإمام مسلم
، نقلنا عنهما كثيراً من أمهات المسائل وبعضا من الأحاديث التى يدخل
معظم الأمور التى منيت الأمة بها . وليس على الله بعزيز أن يؤلف
لأمة ويلم شعثها ويوفقها لما فيه رضاه بمنه وكرمه أسأله سبحانه وتعالى
رفقنا وجميع المسلمين إلى ذلك إنه على مايشاء قدير .

قال مؤلفه : كان الفراغ من تأليفه خامس رمضان من سنة ١٣١٦ هجرية
ة المنصورة ؟

(تم بعون الله تعالى)

فهرس الكتاب

صفحة